



العلوم والمعارف . وكان المرء يسمع منه في المجلس الواحد من غرائب العلوم ونوادر الأخبار والنقول مالا يهتدى إليه بعد البحث الطويل . والاطلاع الشديد إلا في الأزمنة المتطاورة .

وقد وصف مجلسه بعض أهل العلم ، فقال :

ومن أكبر شيوخنا وأفضلهم . العارف الأكبر ، والكبرى الأجر . مرشد السالكين ومرتبى المریدین . الدال على الله بالأقوال والأفعال . الناهج بأحواله منهج الكمال . مأوى الضعفاء ومعينهم ، ومرشد الأقوياء ومقويهم . منبع المعارف والأسرار ، وملجأ الأكارين آناء الليل وأطراف النهار . من إذا تكلم كفى . وإذا صاحب صفا . وإذا عاهد وفى . وإذا قدر عفا .

الشبيه في أخلاقه بحده المصطفى صلى الله عليه وسلم . بحر المعارف والعلوم ومبدي الضياء من الظلام في الفهوم . الجامع بين المعقول والمنقول . الفانى في محبة الرسول الشريف المنيف شيخنا حاكماً ومعنى وحبينا روحاً وجسمنا سيدي الحاج محمد ابن العارف الكامل سيدي الحاج الصديق ابن القطب المريني سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن سمعنا عليه رضى الله عنه وقدس روحه علوماً حجة مذاكرة منه لنا في جميع الفنون العلمية وأكثرها في التصوف وحكاية الصالحين وعجائبهم في سلوكهم الى الله تعالى وافتراق أحوالهم في مواجيدهم وأذواقهم ، بحيث لو كنا نكتب ما نسمع منه في جميع العلوم من المسائل مع تحقيقها والقول الفصل فيها وما يتبع ذلك لجمعنا منه مجلدات ، ولكن حالنا حال الكسالى . وآفة العلم عدم التقييد ، فندمنا حيث لا ينفعنا الندم اه .

ووصف مجلسه صاحب نبذة التحقيق ولم يكن ممن يجالسه إلا قليلا على انفراد ، فقال :

وكانت مجالسه قدس سره لا تخلو من الفوائد . ولا بد لمجالسه أن ينال من فيضه أبداع الصلوات وأنتع العوائد إلى أن قال .

وبالجملة فتبحره في العلوم ظاهراً وباطناً مما علمه الخاص والعام وفضله وكماله مما أقر به القاصي والداني . وقد كانت ترد عليه المسائل حتى من الخارج في مذاهب أخرى فيجيب عنها .

وكتب إلى الشريف الجليل العلامة الأديب الشاعر الأثرى سيدي محمد الناصر الكتاني يقول :

اتصلت بالشيخ طيب الله ثراه وأنا فتى يافع . اشرفت على العشرين ،  
وزلت ضيفا عليه نحواً من شهرين . كنت أجالسه في خلالمها في الصباح  
والمساء . وكان مجلسنا لا ينتهي حتى تمر عليه ثلاث ساعات كاملة ، وربما  
تجاوزتها أسأله فيتدفق في الجواب بفصاحة بالغة وأسلوب عربي متين وعلم  
يتم عن مادة كبيرة يستقى منها أجوبته كنت أسأله في الحديث والفقه  
والتصوف والتاريخ والأدب والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة . فكان يهرني  
منه استيعابه بالجواب عن المسألة التي أسأله عنها فلا يترك في نفسي مكاناً ظرغاً  
للتعقيب على السؤال هـ .

والعلوم التي كانت له فيها اليد الطولى هي :

الفقه . والاصول . والكلام . والتصوف . والتفسير . والحديث .  
والنحو . والصرف . والمنطق . والتاريخ . والتراجم . والطب . والانساب  
والسياسة الشرعية . وسر الحرف . وخواص الاسماء مع المشاركة القوية في  
سائر العلوم .

أما الفقه : فكان يستحضر جميع فروع الخفية والجلية ، لا سيما الفقه  
المالكي فإنه كان نصب عينه بعجره وبجره ، وقواعد القضاء ، والدعوى ،  
والقوانين التي قننها المالكية في هذا الباب ، واختص بها المغاربة من بينهم  
وتوسع فيها المتأخرون ، وسموها فقهاً مع أن تلك المسائل لا يحفظها ويبرع  
فيها إلا البزل من الفقهاء . الراغبين في الدنيا ، المخالطين للقضاء والفتوى

والشهادة الممارسين لذلك في الاعوام الكثيرة والازمان الطويلة . والشيخ  
رضى الله عنه كان أبغض شيء اليه خطة القضاء والشهادة والفتوى والتعرض  
لنيل الدنيا بالعلم ، ومع هذا فكان من أبرع الناس وأحفظهم لهذه الفروع  
حتى كانت القضاة والحكام والمفتون يفزعون اليه في الاستفادة منه عند  
نزول القضايا العويصة والدعاوى المشتبكة . فكان يحرر لهم النازلة ويكتب  
لهم الحكم والفتوى ويدفع ذلك لبعض تلامذته وأنجاله . فيكتبه بخطه  
وينسبه الى نفسه فرارا من أن ينسب اليه هو رضى الله عنه شيء من ذلك .  
وربما أخذ الوساطة في ذلك أموالا طائلة بغير علمه . وقل أن يوجد كتاب  
في مكتبته في الفقه المالكي والقوانين العملية التي ألحقها بالفقه . إلا وقد  
طالها وصحح أغلاطها بخطه .

وأما الأصول فكان يستحضر جميع مسائله . والخلاف بين أئمة ويرد  
ويقبل ويرجع ويزيف منها بحسب نظره واجتهاده . حتى ان بعض من كان  
يدعى أنه لا يوجد بالمغرب من يتقن علم الأصول كاتقانه لما قدم الى طنجة .  
وزاره ذاكره في مسألة أصولية جر البحث ذكرها . فأراد الرجل أن يغرب  
ويراوغ بذكر بعض الاقوال ويؤيدها . فرده الشيخ الى العوالب وأبطل  
دلائله . ورجح الحق بما لم يسهه معه الى الرجوع والاعتراف فكان يقول بعد  
مفارقة الشيخ لم أر من يفهم الاصول غيره .

وزاره مرة أشهر علماء فاس بعلم الاصول . وهو الفقيه الفضيلي . فذاكره  
الشيخ في مسألة فظهر عجزه وقصوره أمام الشيخ واعترف هو بذلك .  
فقال له نحن فقهاء الدرس والكراس ، فادمننا في الدرس حررنا المسألة  
واذا قمنا منه تركناها ولم يبق معنا منها شيء .

وأما الكلام فكان اليه المنتهى في تحقيق دلائله وبراهينه مع الاطلاع  
التام على جميع المذاهب والنحل والاقوال ، بل كان في بدايته شغوقا بالمنظرة

فيه انتصارا لمذهب أهل السنة وإبانة للمعتقد الحق . ولما رحل الى الحج جرت له فيه مناظرات بالحجاز ومصر والشام مع علماءها . ولما رحلت إلى القاهرة رحلتى الأولى زارنى بعض من كان يتردد الى الشيخ أيام مروره بالقاهرة فى طريق رجوعه من الحج ، وقال لى إن والدك إمام ما رأينا مثله فانى ناظرته لما كان هنا وتحققت فضله وبراعته فى علم الكلام واستفدت منه مع أن هذا الرجل من المشهورين بالجدال والمناظرات التعسفية فى علم الكلام .

وأما التفسير : فكان آية فيه ، لا يسأل عن آية أو يجرى ذكرها فى مذاكرة إلا ويبدى فيها ويعيد ، ويذكر من معانيها ما لا يستطيع ذكره إلا من كان محورا لها فى تلك الساعة من جميع التفاسير . ولما فتح قراءة التفسير أملى فى الكلام على الفاتحة إلى قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» مجالس طول شهر رمضان من بعد العصر الى قبيل المغرب بقليل . وحدثنى الفقير الصوفى أحمد الحناط قال حضرت مع الشيخ مرة بتطوان فى بعض المجالس الحافلة بالزوار فتكلم على قوله تعالى والذى قدر فهدى فأنى فيها بما بهر عقول الحاضرين من علماء وعوام وأدخل فيها ما لم يخطر لأحد ببال وأما الحديث فكان حافظا لتونه مديم النظر فيه والاشتغال بفنونه وكتبه لاسيما فتح البارى فانه يستحضر جميع مسائله

وأما التصوف فهو علمه ومن صدره تتفجر منابعه وعيونه سواء تصوف الارشاد والعمل والسلوك وتصوف العلم بالله وأهل الفناء فى وحدة الوجود الا أنه كان إلى القسم الأول أميل لأن عنايته كانت بالعمل والتخلق أكثر وكان لا يتكلم فى الثانى إلا نادرا مع أهله لاسيما فى بدايته وأوائل أمره فانه كان غيورا على نشر الحقائق شديد التكم لها كما كان أستاذه سيدى محمد بن ابراهيم رضى الله عنه .

وأما النحو والصرف فكان يتقنهما اتقان من لم يعرف غيرهما وكانت دروسه فى الخلاصة بشرحى المكودى وابن هشام من أعجب الدروس

وأتمتها في هذا الفن بل كان يحبه على الخصوص ويتمشقه ويبحث على قراءته والتضلع منه كثيراً ويقول إنه مفتاح فهم العلوم لاسيما البلاغة والأصول وأما المنطق فكان يتقنه غاية واقتنى كثيراً من كتبه ودرسه بتوسع واطلاع وتحقيق وبحث لم ير الطلبة مثله

وأما التاريخ والتراجم فشأنه فيها أعجب وأغرب من كل ما سبق فانه لا يكاد يذكر دولة من ظهور الاسلام إلى عصره إلا ويحدثك عنها حديث من حضرها وكان واحداً من أعيانها ورجال دولتها لاسيما دول المغرب والاندلس وكذلك تراجم العلماء والشيوخ والأولياء ووقائعهم في سلوكهم وتربيتهم وأخبارهم مع تلامذتهم وما إلى ذلك مع ضم الأشباه والنظائر فاذا اقتضى الحال في موعظة أو مذاكرة الاستشهاد بواقعة وحكاية يضم إليها أمثالها مما وقع لشيوخ كثيرين من مشاركة ومغاربة في عصور متقدمة ومتأخرة كأنه كان يبحث عن ذلك ويجمعه منذ أزمان طويلة فيقول مثلاً وقع للجنييد أو الشبلي مع فلان كذا ومثله وقع للرفاعي أو الجيلاني مع فلان وكذلك للمتبولي مع الخواص وللبكري مع ابنه وسيدى يوسف القاسي مع أخيه أو صاحبه فلان وهكذا يسرد الأشباه والنظائر من الحكايات والوقائع التاريخية في كل مناسبة حتى أن بعضهم يرد عليه يستشيريه في أمر فيشير عليه بما فيه رشده ويزوده في ذلك بحكايات ووقائع للمتقدمين في نفس المسألة

وأما السياسة الشرعية ومعرفة الطرق والوسائل التي تقوم بها مصالح الدولة وينبني عليها أساس العمران ونماؤه وترقية الأمة إلى مصاف الدول العظام وكيفية استثمار الأموال بالوجه الشرعي المباح الذي لا ظلم فيه ولا جور على أحد من الرعية وكيفية حفظ البلاد وحراستها ومعاملة الدول الأجنبية بما لا يخالفه للشرع فيه ونحو هذا فكان إذا تكلم فيه تخال أنه لا يفكر دائماً إلا فيه ولا يشتغل بغيره كأنه أحد كبار الوزراء القائمين بأعباء الدولة ومصالح المملكة مع مراعاة الحال الحاضرة وتغير الوقت وتبديل الأطوار حتى كان إذا اجتمع

به أهل السياسة ومكاتبو الجرائد يرون منه مالم يخطر لهم على بال ويتعجبون منه غاية العجب لكونه من علماء الدين وشيوخ التصوف المقبلين على علوم الآخرة والمعرضين عن علوم الدنيا لاسيما وهو لا يقرأ الجرائد أصلاً بل ويحذر من قراءتها ويستهن بإضاعة الوقت في الاشتغال بها ولما ظهر بعضهم بالزطامة بفاس وشاع خبره قدم إليه بعض المشتغلين بالسياسة ممن كان مقيماً بالبلاط التركية ليكون معيناً له وناصراً ومؤيداً فلما اجتمع به خاب أمره ورأى خلاف ما كان يؤمل ويسمع ثم توجه من فاس إلى طنجة فزار الشيخ وتذاكر معه في فنه فبهر عقله وقال هذا هو الزعيم على الحقيقة وهكذا يجب أن يكون الزعماء أما الفاسى الذى شدت الرحلة إليه خصوصاً فانى لما جلست أتفاهم معه في القضية صار ينام ويتركنى فعلمت أنه غير زعيم ولا مخلص في قضية وطنه

وأما الطب فما رأيت طملاً يشاركه فيه بل أعرضوا عنه اتكالا على أطباء الفرنج والمتخرجين على يدهم فيه أما الشيخ فكان شأنه فيه شأن مهرة أطباء العرب الأقدمين بحيث يداوى المريض على الوصف من بعيد بل من مدن أخرى ولا يحصى كم مريض حكم أطباء الافرنج بموته وعدم إمكان علاجه فشفاه الله على يده وبأدويته التى كان يصفها للناس وقد وقفت على بعض مكاتبه لأصحابه فى العلاج أحببت إيراد بعضها ليعرف منها حقيقة الأمر مع الاستفادة .

فمن تلك قوله فى كتاب : والرجل الذى أصابه فى جنبه الأيسر ما أصابه أمره صعب فى الجملة فان الجنب الأيسر علاجه يصعب كثيراً ولكن مره أن يدهن جنبه المذكور بزيت الرند عند النوم ويدلكه دلكاً جيداً وعلى رأس كل ثلاثة أيام يدخل الحمام فيمكث فيه نحو ساعة فانه يعافى إن شاء الله تعالى ولا تخبره بصعوبة مرضه لثلاث تغيير طبيعته فيزداد مرضه اه .

ومنها أما دواء ابن عمك فليأخذ شيئاً من السمن وليجعل على النار مع مثله من الماء وليتركه حتى يذهب الماء ويبقى السمن ثم يأخذ مثله من

العسل ويزيل رغوته على نار لينة ثم يأخذ مثله من السكر الأحمر ويجعل الثلاثة على نار لينة وتحرك تحريكاً جيداً حتى تنعقد وتصبح ذاتاً واحدة في قوام الحلو ثم يجعلها في آنية فاذا أراد النوم أكل منها مقداراً جيداً فان نومه يرجع كما كان ويزول يسه وتكثر رطوبته وتقل عنه تلك الأفكار التي تضره أن شاء الله تعالى .

ومنها وصلنا كتابك الشريف وعرفنا ما أشرت إليه مما يعتريك من البرد والعرق الخ . اعلم سيدي أن ما يعتريك مما أشرت إليه سببه ضعف قلبك لضعف دمك كما قاله لك الطبيب فانه لم يهتد لما أصابك كما هي حالة أطباء الوقت فانهم قلما يحصلون على عين الداء اللهم الا إذا كان داء بارزاً ظاهراً وكيفما كان الحال فدواؤك قريب إن شاء الله تعالى وذلك بأن تأخذ لبن الضأن وتغليه وتجعل فيه شيئاً من السكر و شيئاً من القرنفل بعد دقه وتترك سواه كأننا ما كان إلى أن يتقوى القلب ويرجع إلى حالته وذلك لا يخفى عليك والماء إذا اضطررت إليه لا بأس أن تطبخه لكن أقلل من شربه ولا تبالح فيه أما اللبن فأكثر منه وعمما قريب يظهر الأثر إن شاء الله تعالى .

ومنها اما ما كنت تستعمله من البيض فاستعمله وأما الاسهال فلا تهول منه فانه جيد والقرنفل قلل منه وكثر من اللبن وإن أمكنك أن تستعمل معجون العسل بالحبة السوداء فهو جيد للغاية ولومرة في اليوم والنفخ الذي يبطئك سببه رطوبة الأمعاء مع ريح منحبس فيها واعلى ما تزال به تلك الرطوبة معجون العسل الذي ذكرناه فاستعمله ولا بد وأضف إليه شيئاً من الأدوية المعنوية كالتصدق كل يوم ولو برغيف وقراءة حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبعا صباحا ومثلها مساء فلا ترى بأساً إن شاء الله تعالى .

ومنها واعلم أن الدوخة التي تحصل لك سببها انعقاد البخار الذي يصعد من المعدة إلى الرأس ممزوجاً برطوبة وبرد وعجز الرأس عن تحمله لضعفه .

وكثرة برده ويظهر أن زوال تلك الدوخة ربما يحصل بشرب ماء الليمون ممزوجاً بشيء من السكر وقليل من الماء بعد شرب اللبن وليكن الشرب قليلاً لئلا تنتشر الرطوبة الموجودة في المعدة انتشاراً لا تقدر ذاتك عليه لرداءة كيموسها الذي هو عبارة عن الدم المستحيل عن الغذاء فاذا اعتادت الذات الليمون المذكور فلا بأس أن تزيد منه شيئاً على القدر الأول فاذا صعب عليك من أول مرة فادهن رأسك دهناً جيداً بالزيت بشرط أن يكون من الزيتون وإن كان عتيقاً فهو أحسن لكن تحفظ وقت الدهن وبعده من الريح جهدك والله هو الشافي أما الآكل فدم على الحليب وإن صعب عليك القرنفل فاتركه أسبوعاً أو أسبوعين ثم عد إليه إلى أن تكمل راحتك فان اضطرت إلى الآكل فكل الحريرة أو مرق الفراريج الصغار بخبز السميد وإن وجدت لحمًا من خروف صغير فلا بأس أن تتناول منه مغرساً أو مغرسين بشرط أن يكون منقى من الجلود والعروق متوسط السمن وبعده أن تستعمل هذا عرفنا بما يحدث لنكون على بال ورمضان ربما لا يمكنك صومه لأن الحليب للطافته ينهضم سريعاً والجوع يحدث لك منه ضرر كبير معوى وأنت تعلم أن الصوم يحرم في هذه الحالة ظايك إياك أن تصوم واللبن أكثر من شربه ولا تمل منه ولا يخفك أن الصدقة من الأدوية التي يسرع نفعها فبادر إليها ولو رغيفاً أو نصفه كل يوم لتجمع بين الدواءين الحسى والمعنوى ومنها والذي أشرت إليه من النفخ يظهر لى أنه نوع من الاستسقاء غير أنه خفيف فلتشرب الماء المطفى فيه الحديد بعد احمراره جيداً بالنار وادهن بطنك من خارج بشيء من القطران فان أمكن أن تشرب لبن الأبل إن وجد هناك فبادر إليه فان لم تجده فبوها فانه من أنفع الأشياء لنفخ البطن ويكفيك أنه دواء نبوى كما في صحيح البخارى وقد عملنا نحن بذلك في حق أقوام من الاخوان فصحوا في الحال ومنهم من أخبره الأطباء بانه

لا يمكن علاجه الا بعد تناول دواء صعب وصفه له طول سنة كاملة فوصفنا له هذا الدواء فصح بعد ثمانية أيام .

ومنها ومن الوقت الذي جاءني كتابك وأنا أردد النظر فيه لاستخرج منه حقيقة حالك وقد ظهر لي ظهورا بيناً أن حالك طيب غاية والحمد لله وما يصيبك إنما هو من كثرة الدم ورقته بميله إلى مائة يسيرة بسبب عدم أكلك الايام الخشن كاللحم والزيت وخبز البرو من رفته يصيبك ما يصيبك من البرد الشديد عند شرب المرق وأكل الخبز والحريرة لأن ما به من الماء يريد ان ينتشر في الشرايين العصبية وهذه الامور تقاومه وترده لمحله فيحصل لك ذلك ودواؤه إن شاء الله تعالى يكون بدوام أكل اللوز والسحتر مع السكر وقليل من السمن الذي مر عليه العام أو أكثر إما وحده وإما بخبز يسير مع المداومة على شرب اللبن بالقرنفل الى أن ترجع الطبيعة لمركزها الأول القابل لجميع المأكولات وزجو الله أن يكون ذلك سريعاً بحول الله .

ومنها والذي أصابك من الوجع الشديد الذي أقعدك في الفراش ومنعك من الحركة الخ خفيف للغاية وسببه برودة مخفية في المعدة جاءت من صلابة الكلى ووصلت الى الاعصاب فوقف دمها عن سيره الطبيعي وبسبب ذلك قل العرق ودواء ذلك يحصل إن شاء الله تعالى باستعمال ماء الرند الحار والجلوس فيه في الحمام المرة بعد الاخرى مع شرب ماء البيينوج حاراً عند النوم وإدخال شيء من بخاره إلى الحلق وبعد حصول الراحة خذ أوقية من المصطكى واجعل عليها مقدار خمس حفنات من الماء واجعلها على نار الفحم الخالصة من الدخان واتركها حتى ينقضى نصف الماء ثم صفه واجعل عليه عسلاً متروغ الرغبة واجعله على النار واتركه حتى يصير في قوام الاشرية ثم أنزله واجعله في زجاجة وخذ عند كل صباح قدر أوقية واجعل عليها قدر حفنة من الماء واشرب ذلك على الريق فانك تعافى من جميع أمراض المعدة بحول الله تعالى .

ومنها والمصابة بالحمى كلفها أن تخضب أطرافها اليدين والرجلين والرأس  
بالخناء الممزوجة بشيء من الزعفران مع شرب شيء من الليمون الممزوج  
بماء الورد وقليل من السكر ولتتبخر صباحاً ومساءً بشمع العسل حتى يصل  
ريحه إلى جوفها فانها تعافى إن شاء الله تعالى فان بقيت بها فعرفنا ولا بد لنصف  
لها دواء آخر حتى يحصل الشفاء بحول الله تعالى

قلت ومن عجيب شأنه في المداواة أنه كما ترى لا يصف في أدويته عشبا  
غريباً نادر الوجود كما تجده في أدوية القانون وكامل الصناعة وشرح الأسباب  
والعلامات والتذكرة وغيرها بل لا يصف إلا ما هو متيسر متناول يسهل  
الحصول عليه المريض أينما كان وكان يرى سلوك هذه الطريق في المعالجة من  
الواجب المتعين على أطباء الوقت ويستقيم الاتكال على الأدوية المركبة  
المجربة من بلاد الفرنج لأنه بانقطاعها ينقطع العلاج والمداواة لعجز الطبيب  
عن معرفة غيره ولذلك لما توجه إلى القاهرة لحضور مؤتمر الخلافة ذهب لمدرسة  
الطب الكبرى الموجودة بالقصر العيني لظنه أنه يدرس بها الطب على الطريقة  
الجامعة بين القديم والجديد وأنه يوجد بالمدرسة بستان فيه النباتات والأعشاب  
وأن المدرس يعرف الطلبة بكل نبات وخاصيته ومنافعه حسبما فهم من كلام  
الشريف العلمي صاحب ضياء النبراس فلما دخل إليها لم يجد شيئاً من ذلك ووجد  
يدرسون على الطريقة الفرنجية والمدرسون أغلبهم افرنج لا يدرسون باللغة  
العربية فاستنكر ذلك لأنه لا يفيد في معرفة الطبائع والأدواء وأسباب الأمراض  
ولا ما يخص كل طبيعة من العلاج وإنما هي أمور ظاهرة غير محققة ولا محررة  
ولذلك يقل النفع والعلاج بمداواة غالب أطباء الفرنج أضف إلى ذلك أنهم  
لا يعتمدون الأعلى المركبات والمواد الكيماوية المجربة من الخارج ولا يعتمدون  
على نباتات البلاد ومعادنها ومنتوجاتها فلو فقدت تلك المجربات أو كان  
الطبيب بأرض لا توجد فيها لعدم النفع به ولما كان هو كآحاد الناس إلا في  
الشيء التافه الذي لا يذكر

## فصل

وأما الانساب فكان إليه المرجع فيها بتلك الأقطار حتى كان يخبر أناساً  
 بنسبهم وكونهم من أهل البيت من غير أن يكون عندهم علم بذلك  
 وكانت له المشاركة القوية في غير هذه العلوم بل كان لفرط ذكائه وقوة  
 جنانه وسرعة إدراكه لا يكاد يتوجه إلى فن من الفنون الا ويطلع على حقيقته  
 وقد طلب من الفقيه السيد احمد بن زيد الانجری وهو من تلامذته في الطريق  
 أن يأخذ عنه علم الفلك فاعتذر الرجل وامتنع أدا مع الشيخ فقال لا بد أن  
 نسلك سنة الله المتبعة في التعليم وذكر له أن جده العارف الكبير سيدي احمد  
 ابن عبد المؤمن أخذ هذا العلم على كبر عن تلميذه في الطريق الفقيه مفرج  
 فلما لم يجد بداً من إجابة طلبه عين له الكتاب وضرب الميعاد للرجوع إلى  
 قراءته فلما حضر وشرع في القراءة مع الشيخ وافتتح الكلام في الموضوع  
 فاجأه الشيخ بمسائل وقواعد غريبة في الفن فطوى الفقيه الكتاب وقبل  
 يد الشيخ وقال له والله ياسيدي إنك لأعلم مني بهذا الفن ودخلت إليه يوماً  
 يطوالع الملوك وفيها أسماء بعض زعماء مصر وبجانبها أرقام فأول ما نظر فيها  
 قال لي ان الشيخ محمود الفلكي يقول في حق سعد زغول إنه سيموت في هذا  
 العام حتماً فلم تمض إلا شهران أو ثلاثة حتى ورد الخبر بوفاته وقضاياه في علم  
 الجدول والتصرف بالأوافق وسر الحرف كثيرة أضربنا عنها صفحاً وقد  
 ذكرنا جملة منها في الأصل

وأما دروسه فكانت روضة من رياض الجنة آية في الابهة والرونق والجمال  
 فما شئت من إملاء وحفظ وترتيل وفصاحة وسرعة إلقاء لا يسكت لحظة  
 ولا يفكر فيما يقول كأنه يقرأ فاتحة الكتاب ولا ينطق إلا باللغة العربية  
 الفصحى لا ينطق بكلمة واحدة عامية أصلاً سواء في ذلك درس الفقه والحديث  
 والتفسير والنحو والمنطق إلا أن درس الحديث والتفسير يمتاز عن غيره

بتؤدة وأبهة وهيبة زائدة مع صيغة جميلة ونغمة مطربة يتمنى المرء لو دام  
 درسه اليوم بأجمعه كان يورد الحديث من الصحيح باسناده ثم يتكلم على تراجم  
 رجاله وأحوالهم ومقالاتهم إن كانوا من أهل الزهد والورع ومواليهم  
 ووفياتهم ثم ينتقل إلى متن الحديث فيذكر طرقه ومخرجه وألفاظه ثم يعرب  
 ألفاظه المشكل إعرابها ويتكلم على غريبه ومعناه والأحكام المأخوذة منه  
 وفقه كل مذهب في المسألة ودليل كل قول وما يرد عليه من الاعتراضات  
 والأجوبة ويطبق نص مختصر خليل على الحديث إن كان موافقاً له ثم يحتم  
 باستخراج الفوائد والمسائل وإذا كان في معنى الحديث أحاديث أخرى في  
 الباب أملى جميعها مخرجة معزوة ولو كانت مائة حديث فاذا قرأ حديث  
 سبعة يظلمهم الله في ظله أملى كل الأحاديث الواردة في الخصال الموجبة لظل الله  
 يوم لا ظل إلا ظله وإذا قرأ حديثاً فيه من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له  
 ما تقدم من ذنبه أملى كل الأحاديث الواردة في غفران ما تقدم من الذنوب  
 وإذا قرأ حديثاً فيمن يموت شهيداً أملى كل الأحاديث الواردة بذلك  
 وهكذا لا يكاد يخلو درس من الاملاء مع فصاحة وطلاوة ونور وحلاوة  
 أما في مجلس الفقه فكان يذكر النصوص الكثيرة بألفاظها فيقبل  
 المقبول ويرد المردود ويضيف ويرجع مع إيضاح المعنى بدون تكرار  
 ولا إعادة كلمة ولا توقف ولا سكوت لحظة واحدة وربما صاح  
 في درس الفقه والنحو أثناء التقرير بقوله رد بالك إذا رأى من السارد يوماً  
 أو غفلة وربما صفق بيديه أثناء التقرير أي وضع يده على الأخرى شبه المصفق  
 فيسمع لها صوت خفيف لما كان يعتره من شبه غيبة عن حسه لفرط نشوة  
 وطرب بلذة العلم وتقريره ولم يكن يطالع إلا قدرأ قليلاً مع أنه كان أواخر  
 تدريسه يجمع ثلاثة دروس في مجلس واحد يمكث فيه ثلاث ساعات تقريباً  
 فكان يخرج للدرس قبل الظهر بساعة ونصف فيشرع في قراءة الخلاصة بشرح  
 المكودي وابن هشام ثم بعد مدة يشرع في قراءة المختصر فاذا أذن الظهر

وفات قليلاً قام وصعد الكرسي وشرع في قراءة الصحيح لأن درس الخلاصة والمختصر كان لا يحضره إلا الطلبة ونجباء العوام ممن له رغبة في الفقه وأما الصحيح فكان بعد الظهر تجتمع الخلائق من سائر الطبقات لسماعه فكان يصعد على الكرسي وقتئذ يسمع الناس وكان قبل ذلك يخرج صباحاً لتدريس لامية الأفعال والمنطق معا في درس واحد كل ذلك من حفظه وبالقاء السريع بحيث ما يلقيه في ساعة يلقيه غيره في عدة ساعات ويعمر به عدة مجالس .

قال في النسمات كانت دروسه رضى الله عنه عجيبة وقراءته قراءة بحث وتحقيق وتحرير وتدقيق وتلخيص للمسائل وتحريرها مع ما ينضم إلى ذلك من الايرادات والاجوبة هذا مع ما كان عليه رضى الله عنه من عذوبة المنطق وحلاوته وبلاغة اللسان وفصاحته وحسن التأدية والتبليغ ورونق الترتيب والافهام البليغ حتى إن البليد من الطلبة كان يحوز من الفهم والادراك حظه أما حفظه وإملاؤه فكان لا يجارى فيهما ولا يبارى ويكفى برهاناً على ذلك ما كان يجمعه من الدروس المختلفة متصلاً بعضها ببعض في مجلس واحد فكان يقرأ أولاً ألفية ابن مالك بشرح المكودي ولا يقتصر عليه بل يأتي بالكثير من المسائل النحوية ثم يتبعه بقراءة مختصر خليل متصلاً به وهو في مجلسه كان يقرأه بشرح الخرشى ولا يقتصر عليه بل يأتي بكلام الزرقانى وحواشيه للشيخ بنانى والرهونى وينوه بحاشيته كثيراً وربما أنشد أحياناً عقب نقله وقوله .

إذا قلت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

ثم بمجرد الفراغ منه يتبعه بقراءة صحيح البخارى لكن كان يقوم من مجلسه الاول فيصعد على الكرسي تعظيماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحضر درسه في الصحيح الجم الغفير من العلماء والطلبة وأعيان البلد وغيرهم حتى إن أعلا صوته لا يبلغ منتهى مجلسه لكثرة الحاضرين وكانت قراءة مدهشة للعقول آخذة بمجامع القلوب لما كان عليه رضى الله

عنه من عجيب الحفظ وغريب الاملاء والتحقيق وحسن الترتيب وبديع التنسيق وكان يملئ في الزمن القليل من الأحاديث ما لا يملئ غيره في الزمن الكثير وكان عند قراءته للحديث يكسى حلة البهاء ويعلوه نور وبهجة وسناء حتى يفيض على قلوب الحاضرين ولا يمل أحد من مجلس قراءته ومذاكرته وإن طال ما طال وبالجمل فممن حضر مجلس قراءته لم يقنع بقراءة غيره وإن بلغ في العلوم والتحقيق ما عسى أن يبلغ لأن علمه كان علم فتح ووهب لا علم كسب وقراءته كانت قراءة مجتهد لا قراءة مقلد اهـ .

وقال صاحب النبذة وأما غيرته في الدين فهو لا شك الفرد الأول بين المسلمين ممن لا يبارى في ميدانه ولا يجارى قل فيه حقا هو ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يلتفت فيه لذي سطوة لا سيما في مجلس وعظه ودروسه إلى أن قال وإذا أنعم بدرس ازدحم الناس على محلات القرب منه وغصت المحافل بهم وفتح مرة صحيح البخارى فشهدنا كغيرنا من أماليه ما يبهر العامة والخاصة وتجد الاعناق حال القراءة مشرئبة لسماع نغمت مثانيه ومثاليه بما لو قدرت على كتب ما يملئ لكان شرحا حافلا مع كون إلقائه من غير تلثم ولا منححة مما تستلذه الاسماع وتصفى اليه القلوب ويغص المسجد بالحاضرين لا سيما من أهل الفضل والدين لما يسمعونه كل يوم من رقائق المواعظ وحقائق العلوم والعرفان ما يزيد الكل تحقيقا بمكانة الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اهـ

### فصل

وكان الشيخ رضى الله عنه تاملا بالسنة وما صح لديه من الدليل من غير نظر إلى مخالفة المذهب ولا ما جرى عليه العمل امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم كما هو واجب على كل مسلم موحد لا سيما في النصف الأخير من عمره ، فإنه كان يعاق بذلك ويدعو إليه ، وأمر بكثير من السنن

المهجورة في مذهب مالك كالتعوذ والبسمة والجهر بالتأمين ورفع اليدين في الانتقال ووضع اليمين منهما على الشمال والسلام من الصلاة مرتين مع زيادة ورحمة الله والأذان بين يدي الخطيب يوم الجمعة وغير ذلك وكان يعطر مجالسه الخاصة بذكر الاجتهاد والعمل بالسنة ، ويبدى تعجبه من المقلدة الجامدين الجهة المعرضين عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وينظر في ذلك ويبالغ في تقريره ، لاسيما مع كبار الفقهاء وشيوخ المقلدة وقد ناظر مرة بفاس فقيه المغرب سيدي المهدي الوزاني صاحب المعيار والحواشي المتداولة وأزمه الحجة ، لكنه عاند وأصر على الباطل وإنكار الاجتهاد ، وتحريم العمل بالكتاب والسنة ، ووقعت له مناظرة بالمدينة المنورة مع حمدان الونيسي الجزائري في محفل عظيم من العلماء فيهم شيخنا الامام سيدي محمد ابن جعفر الكتاني والشيخ توفيق الأيوبي الشامي والشيخ أمين سويد الدمشقي أيضا والشيخ عمر حمدان المحرسي والسيد أبو القاسم الدباغ وما يقرب من عشرين عالما كانوا مجتمعين بضريح سيدنا حمزة رضى الله عنه وبعضهم يسرد تفسير ابن عجيبة ، فمرت مسألة انجر البحث فيها بينهم إلى مخالفة المذهب فتكلم الونيسي بكلام أراد به التنكيت على سيدي أبي القاسم الدباغ لأنه كان من المعلمين بنذ التقليد والعمل بالسنة وظن الونيسي أنه منفرد بذلك من بين الحاضرين ، فانبرى له الشيخ رضى الله عنه وناظره مناظرة بهرت عقول الحاضرين ، ومكثوا يتحدثون بها طول عمرهم كلما جرى ذكر الشيخ رضى الله عنه حتى ذكره كل من السيد أبي القاسم الدباغ والشيخ عمر حمدان على الانفراد في أوقات مختلفة ، قالوا : ما كنا نمثل الونيسي أمام الشيخ إلا كما صغير بين يدي أسد عظيم ، فلما أزمه الحجة ولم يجد من يد الشيخ مفرا . قال في هجية وغضب للتقليد والشيطان : ما قاله الله ورسوله أضعه تحت قدمي وما قاله خليل أجعله فوق رأسي ، فقال له الشيخ الآن سقط الكلام معك ولو أخبرتنا بهذا من أول وهلة ما ناظرناك لأننا كنا نظن أنك تناظر عن جهل

بالمسألة وخطأ في النظر والاعتقاد وحيث وصلت إلى حد الكفر والردة والعناد فلا كلام لنا مع من هذا حاله .

وحضر الشيخ مرة في وليمة ومعه بعض الفقراء وكانوا صائمين تطوعا فلما حضر الطعام أمرهم بالافطار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم «الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر» فأقام جهلة المقلدة لذلك ضجيجا على عاداتهم عند رؤية العمل بالسنة وأكثروا القيل والقال انتصارا للباطل الذي يسمونه المذهب فاجتمع بهم الشيخ وألزهمم الحجة وأبان جهلهم بمذهبهم ، وهكذا كانت طريقته رضى الله عنه يعمل بالسنة ويعتمد في مناظرته مع المقلدة على المذهب لوجود قول فيه أو قاعدة تقتضى ذلك لعلمه بأن أهل الباطل لا يرضخون إلا للباطلهم ولا يدينون إلا بشركائهم نعوذ بالله من الخذلان وكان يأمرنى إذا كتبت فى مسائل من السنة أن أنصرها بقول المقلدة حتى يمكن نشرها والعمل بها لا بالدليل من الكتاب والسنة اللذين لا يقيم لهما المقلدة وزنا ويعتقدون أن العمل بهما ضلال وبدعة نعوذ بالله من الضلال .

وسافر الشيخ مرة من طنجة إلى غمارة مسيرة ثلاثة أيام ، ولما قرب من بلده وكان يوم جمعة مر على قرية فدخلها ليحضر الجمعة ، فلما رآه الخطيب دهش وتأخر واختفى فقدم أهل القرية الشيخ للخطبة والصلاة فخطب ارتجالا وصلى بهم ثم توجه إلى بلده فشاع الخبر بين فقهاء غمارة فانقسموا قسمين قسم قال لاعترض على الشيخ لأنه أعلم منا بالمذهب وأعرف بالسنة وقسم حكم ببطلان الصلاة ، فلما باعه الخبر كتب يستقدمهم إليه ، فلما حضروا ناظرهم فى المسألة وعرفهم ما لم يكن عندهم به علم من مذهبهم ، فاعترفوا إلا جاهلا دأبه العناد والجidal ممن ظرد من القضاء وسجن على الزور وأكل أموال الناس بالباطل فانه أصر على العناد لفرط جهله إلى أن توجه إلى فاس ووقف على رسالة مؤلفة فى المسألة لشيخ الجماعة بالمغرب أبى العباس ابن الخياط ، فعند ذلك انقبع تحت جهله .

ومع هذا فإن الشيخ رضى الله عنه كان يجب موافقة الفقهاء فيما يراه ويعمل به ولو خارج مذهب مالك كراهة منه للتفرد والاستقلال بالرأى لا لتوقف في الدليل أو شبهة في العمل به بل فرارا من دعوى الاجتهاد والظهور بما فيه نحر وتبجح وانانية ، فكان يستتر في جميع ما يختاره باتباع مذهب من المذاهب أو قول فقيه من الفقهاء حتى لا يجيب سائله أو يحتج على معارضه بأن هذا رأى ومذهبي بل يقول اعتمدنا في هذه المسألة على مذهب الشافعى أو ابن حنبل أو أبى حنيفة أو على قول في المذهب حكاه فلان عن فلان أو نص عليه فلان في كتاب كذا ليقطع السنة الجامدين في التقليد الجاحدين لفضل الله على خلقه ، ولذلك درج أكثر الناس بل كلهم حتى أقرب الناس إليه وأشدهم ملازمة له يعتقد فيه التقليد والتمذهب بمذهب مالك وصاروا يحتجون علينا إذا دعوناهم إلى العمل بالسنة ونبذ الأقوال المخالفة لها من مذهبهم بأن الشيخ الوالد لم يكن على ذلك وأنه كان طول عمره مقلدا ناصرا للمذهب وحاشاه من ذلك ومعاذ الله أن يكون كذلك ونحن والحمد لله ما اهتدينا إلى العمل بالسنة إلا بأمره وتعليمه ولا نبذنا التقليد وراءنا ظهريا إلا بإشارته وإرشاده ، ولا هداانا الله وانقذنا من بدعة التقليد إلا باتباعه والافتداء به والاهتداء بهديه ، ولولاه لكننا من جملة المبتدعة المقلدين ، والحمد لله على فضل الله ومنته ، وإعما أوقفهم في اعتقادهم ما ذكرناه مع كونه كان في بداية أمره وعنفوان شبابه وأيام قوته في تدريس المختصر ينتصر لمذهب مالك ، والراجح المشهور منه على غيره ، حتى أنه لما بلغ إلى موضع سدل اليمين في الصلاة نصره غاية وايده اتبعا لما عند الشروح لكنه لما اتسع في العلم وتبحر في السنة واطلع على الحقيقة رجع عن ذلك وأمر أصحابه بوضع اليمين على الشمال وأمرنا بالتأليف فيه والانتصار له وكان هو ينتصر له في مجالسه حتى صار بعض من كان يقرأ عليه من الطلبة قديما يعترض عليه بنفس كلامه السابق في درس المختصر وانتصاره للسدل وما درى الجاهل أن ذلك هو أكبر دليل

على فضل الشيخ رضى الله عنه وكلامه وبلوغه رتبة الاجتهاد لانه لا يتغير رأيه وتختلف أقواله إلا المجتهد الباحث عن الحق العامل بالدليل كما يوجد عن أئمة المذهب الأقوال المتعددة فى المسألة الواحدة ولا يوجد لمقلد فى مسألة قولان أبدا ولو بلغ فى العلم أعلى ما بلغ ما لم يصل رتبة الاجتهاد لأن النظر فى الدليل هو الذى يوجب التغير وتبدل الرأى كلما استبان له دليل أقوى مما عنده تبعه بخلاف المقلد فإنه يعمل بقول إمامه ولا يعرف حق ذلك من باطله بل هو لاعتقاده حقيقته يلتزم العمل به ولا يخرج عنه والشيخ رضى الله عنه لم يكن كذلك فلذلك كانت أقواله تختلف وآراؤه تتبدل .

وكان محبا لسائر المذاهب معظما لها مصوبا لجميع الأئمة رضى الله عنهم من جهة اجتهادهم وجلالة منصبهم وعظيم مكانتهم فى العلم والدين فكان يمدح مذهب الشافعى للعمل بالحديث ويمدح كتب أهله لاعتنائهم بالدليل ويمدح مذهب مالك لكونه مذهب عالم أهل المدينة إلا أنه يذم صنيع المتأخرين من المالكية فى الاعراض عن الدليل وكثرة الاختصار المجحف وعدم بسط القول والتعليل ، ويشهد للحنفية بالبراعة فى الفقه وكثرة الفروع ودقة النظر فى استخراجها ويقول هم الفقهاء على الحقيقة إلا أنه يشهد عليهم بالتعصب المفرط الذى اختصوا به من بين أهل المذاهب ويتمتع من إفراطهم فيه غاية ويحكى عنهم نواذر فى ذلك ويمدح مذهب أحمد بن حنبل للوقوف على الوارد غالبا ، ويحب مذهب الزيدية ويعترف بفضلهم وبراعتهم فى الفقه واستنباط المسائل وذكر الدليل فى كتبهم وكان يحبها ويرغب فى الحصول عليها ويسأل عنها بتلف . لاسيا البحر للامام المهدي والسيل الجرار ونحوها من الكتب التى يكثر الشوكا فى من النقل عنها والاحالة عليها من مؤلفاته ومؤلفات غيره .

وكان يطالع كتب سائر المذاهب كبيرها وصغيرها لاسيا الام للشافعى وشرح المهذب للنووى وشرح المنهاج للرملى وابن حجر والخطيب والمحل

وفتح القدير لابن الهمام وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ، ويقول إنها بمنزلة حاشية الرهوني في مذهب مالك بحثا وتحريرا وجمعا ، والفتاوى العالمكزية ومجربها كثيرا لجمعها للاقوال ، أما فتح القدير لابن الهمام فكان يبدى عجبه من صنيع الشارح وإتقانه للدليل وإيراده طرق الحديث مع الكلام عليه وكان يتمنى أن لو أطال الله عمره فأكله على ذلك المنهاج لأنه كان لا يرى لتكلمته قيمة أمام أصله ، وكان يعتنى من كتب الحنابلة بكشف القناع قبل أن يطبع المعنى والفروع لابن مفلح ، فلما طبعا كان مغرما بهما على أنه إذا دعت الحاجة إلى تحرير مسألة لا يدع في مكتبته كتابا في مذهب من المذاهب إلا ويراجعه ويعلم ما يقوله صاحبه في المسألة إلا كتب الشيعة الإمامية فإنه لم يكن بمكتبته منها كتاب أصلا ولتبجره في المذاهب ومعرفته بجميعها كان لا يرى بالانتقال إليها بأسا لمن أراد ذلك وكنت في بداية طابى اخترت الانتقال إلى مذهب الشافعى لما رأيت كتبهم تتعرض لدليل كل مسألة بخلاف كتب المالكية فإنها خالية عن الدليل ، ونشأت من صغرى لأقبل قولاً إلا بعد معرفة دليله فحسن لى الانتقال إليه وصار يحنى على التضلع منه ويرشدنى إلى الكتب النفيسة فيه ويعين لى ما أقدم قراءته وما أؤخره منها ، ولما رحل إخوانى إلى القاهرة لطلب العلم اختار بعضهم الانتقال إلى مذهب أحمد بن حنبل فكتب إليه يحسن له ذلك أيضا ويحثه على إتقانه مع معرفة مذهب مالك الذى هو مذهب البلاد والمشاركة فى غيره .

ولما توجه إلى الشام لزيارة شيخنا سيدى محمد بن جعفر الكتانى رحمه الله وكنت معه . قال له يوما ان مولاي أحمد ترك مذهب مالك وانتقل إلى مذهب الشافعى كأنه يريد من الشيخ أن يمنعى من ذلك ، فقال له هو حر فى نفسه يختار من المذاهب ما يشاء فسكت ، وكان عند شيخنا الكتانى رحمه الله نوع من العصية وميل إلى المذهب بل والجنسية مع أنه كان يعمل بالسنة فى كثير من المسائل لكن بشرط موافقة المذهب ولو فى بعض الاحوال

وبشرط أن تكون المسألة في الآداب والرقائق لافي الحلال والحرام كما شافهنا به مرارا وذكره في كتابه سلوك السبيل الواضح في أن القبض في العلوات كلها مشهور وراجح مع أن الواجب سلوكه تقديم قول الله تعالى ورسوله في ما كل ورد عنهما لافرق بين سنن وآداب ولا بين حلال وحرام وهو في هذه الطريقة أيضا مقلد لغيره فان المواق نقل في سنن المهتدين عن بعض شيوخه أنه كان يقول نحن صوفيون محدثون في الرقائق والآداب فقهاء في الأحكام والحلال والحرام أو نحو هذه العبارة فان عهدي بها قديم ، وذلك من الغلط البين والخطأ الواضح والسلام .

وكان الشيخ رضى الله عنه محبا للكتب شديدة الرغبة في اقتنائها وتحصيلها ولو بالأثمان العالية التي يستغرب من دفعها في مثل ما دفعت فيه ولو لم يكن ذلك الثمن متيسرا لديه ، بل كان يستدين أو يبيع شيئا من اللوازم الضرورية ليشتري ما احتاجه من الكتب ، بل قلما يعرض عليه كتاب فيوجد عنده ثمنه الا اشتراه خصوصا في أواخر عمره حيث كان لا يمكس عنده شيئا من الدنيا أصلا ومع ذلك فكان لا يفوت كتابا يمكنه الحصول عليه ووقع له في الحصول على الكتب وشرائها نوادر وحكايات يطول شرحها ، وقد ذكرنا جملة منها في الأصل وكان إذا اشترى كتابا لا يكاد يضعه في خزائنه حتى يستوعبه جميعه أو أهم مقاصده على الأقل وكان لا يقننى كتب العصريين المنفرنجين المتشبهين بعلوم الفرنج ولا يقرأها وكذلك الجرائد بل كان ينهى عن قراءتها وإضاعة الوقت فيها ويقول ما ضل العالم وانتشرت الأخلاق الفاسدة ومعتقدات المبتدعة والمنفرنجية فيه إلا بواسطة الجرائد فهمى والمدارس الافرنجية العامل ائوحيمد في إفساد المسلمين وحدثني بعض أصحابه أنه سمعه بأخرة يقول

لو كنت أكتب لآلفت كتاباً في ذم الجرائد والتحذير من قراءتها تأليفاً جيداً  
أسميه الضرب بالحدائد لقراء الجرائد .

قلت ولعل الله يوفقني للنيابة عنه فيه كما نبت عنه في غيره والحمد لله فان  
الشيخ رضى الله عنه لشدة نفوره من الظهور وما فيه رائحة فخر وتبجح  
لم يؤلف كتاباً مع أنه لو تصدى للتأليف لكان أسهل عليه من جميع اهل عصره  
لكثرة حفظه وسعة اطلاعه وشدة استحضاره بحيث يمكنه املاء الكراسة  
والكراستين في المسألة الواحدة ومتعلقاتها بدون مراجعة كتاب كما كان يعلى  
ذلك في مجالس مذاكراته ويحجب به في مكاتبه لمن كتب إليه .

وقد قال له مرة بعض أصحابه لم لا تؤلف يا سيدى ، فقال له لم يبق  
شئ يحتاجه الأمة إلا وقد ألف فيه من قبلنا فما علينا الآن إلا أن نشتغل  
ونقرأ ونعمل بما كتبوه وحققوه .

وسمعته مرة يقول كنت ألفت كتاباً في العبادة في مجلد ثم أحرقتة .  
وذكر العبادى فيما جمعه من ترجمة الشيخ رضى الله عنه قال تحلى مجلسه  
الشريف يوماً بذكر تأليف نجله مولانا أحمد فقلت له يا سيدى إنه ينوب عنكم  
في التأليف ، فقال وهو كذلك إن شاء الله فقد سئل القطب أبو الحسن  
الشاذلى رضى الله عنه عن عدم كتابته ، فقال كتبى أصحابى ، ثم قال رضى  
الله عنه : وقد كنت مولعاً بالكتابة قبل هذا ، ثم رأيت الوقت لا يساعد  
فتركت ذلك وأحرقت بعضها ، وكنت ألفت كتاباً في السيرة النبوية أيام  
الشبيبة حينما كنت أدرس الهمزية مع الطلبة بغماره وأظنه لا يزال عند بعضهم  
إلا أن فيه أحاديث موضوعة كنت قلت فيها بعض المتأخرين كالصبان ، ثم  
بعد ذلك اتضح لى أنها موضوعة . قال العبادى وله خطب السنة كلها ورسائل  
في الطريق نحن على غاية الجهد في جمعها ، وله رسالة النور اللامح في تكفير

الذنوب والقبائح ألغها بسبب خطبة خطبها ذكر فيها صلاة التسبيح وأحكامها  
وفضلها فطلب منه بعض أعيان شرفاء وزان كتابة ما سمعه منه فكتب له  
تلك الرسالة في صلاة التسبيح وضم إليها غيرها من المكفرات هـ .

قلت وقد عثرت على بعض المكاتب التي أجاب فيها أصحابها عن أسئلة  
قدموها له أذكرها لتتميم الفائدة .

منها وأمامسألة الجهة التي ذكرها في الغنية شيخ العارفين وقطب الكاملين  
من ليس له في مقامه ثانی سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلانی رضی الله عنه  
وأمدنا بمدده الربانی فليعلم سيدنا أني قبل أن أراجع الغنية المذكورة  
صرت أبحث عما يمكن أن يكون جواباً عن الشيخ رضی الله عنه فراجعت  
ما أمكنني الوقوف عليه من كتب موضوع المسألة كاليواقيت للعارف  
الشعراني والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي والمحاسن العالية لليافعي  
المطبوعة بهامش كرامات الأولياء للنهائي فوجدتهم ثلاثتهم برأوا الشيخ  
من اعتقاد الجهة وصرحوا برجوعه أو دس ذلك عليه في كتاب الغنية وذلك  
في المبحث السابع من اليواقيت ومسائل الكلام من الفتاوى الحديثية وآخر  
المحاسن العالية ، ولما رأيت ذلك في هذه الكتب الثلاثة كفاني عن تطلب  
غيرها حيث لم يبق داع للجواب عنه برجوعه عن ذلك المعتقد أو دسه عليه  
ثم راجعت الغنية فوجدت عبارته رضی الله عنه لا تقتضي ما نسبوه إليه  
غاية ما في المقام أنه ينكر تأويل الآيات والأحاديث التي تقتضي بظاها  
إثبات العلو والنفوق والجهة من غير أن يعتقد معناها الذي تقتضيه اللغة  
فاعتقاده رضی الله عنه فيها أنها صفات أثبتها الله تعالى لنفسه وأوجب على  
عباده أن يصفوه بها ويكلوا بعد ذلك علم حقيقتها إليه سبحانه من غير أن  
يؤول الفوق بالعلو والعزة والقهر كما هو رأى الأشعرية ولا بالغلبة والاستيلاء  
كما هو رأيهم أيضاً مع المعتزلة بل ينبغي أن يترك تفسير ذلك والخوض فيه  
رأساً مع تنزيه الله تعالى عن ظاهر معناها ، وهذا الذي قاله رضی الله عنه هو

معتقد الصحابة والسلف الصالح قاطبة . وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة وهذا أيضاً معتقد أكبر الأولياء الذين جعل الله الشيخ في مقدمة صفوفهم فلم يأت الشيخ في المقام بما يخدش في عقيدته ولا بما يشين عرض ديانته وإنما خالف المتأخرين من الأشاعرة والماتريدية في عدم التأويل تبعاً للإمام أحمد ابن حنبل فإنه كان شديد الإنكار على المؤولين ويأمر بامرار ما ورد كما ورد من غير اعتقاد معنى يخالف الربوبية وعظمتها والمؤولون كإمام الحرمين والغزالي والباقلاني رضي الله عنهم لا ينكرون هذا ، بل يقولون انه الأفضل والأولى ، وإنما أولوا خوفاً على العامة أن يفهموا تلك الآيات والأحاديث على ظاهرها فيقعوا في ورطة التجسيم ، وذلك يؤديهم إلى أن يكون الخالق كالمخلوق وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فإن الله كان ولا فوق ولا جهة ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا زال سبحانه كما كان فكيف يكون في جهة من الجهات وهو الذي خلقها وكيف يحتاج إليها وهو الذي أوجدها فهو سبحانه قبل أن يخلقها وبعد أن خلقها هو الله الأحد الصمد موصوف بجميع الكمالات منزّه عن سمة الحادثات لا يشك في هذا مسلم لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ولم يأت الشيخ رضي الله عنه بما يخالف هذا وحاشاه من ذلك ، وكيف وهو الرجل الذي لم تنتج الأرحام مثله ولم يسمح الزمان بمشابهه له في ولايته ومعرفته بعده رضي الله عنه وعن جميع أولياء هذا الأمة فتأمل هذا وأمعن فيه نظرك فإن كفاك وإلا فعرفنا لنتذاكر في المسألة إن شاء الله تعالى .

قلت ومن جواب الشيخ رضي الله عنه يظهر لك موافقته للشافعي ومخالفته للخلف الذين تجهموا فضلوا وأضلوا من قلدتم واعتقد سنيهم حتى صار يستشكل كلام كبار أهل الله الموافق لما نطق به القراءان وتواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه الصحابة والتابعون والسلف الصالح من الإيمان بالصفات وأمرارها كما جاءت من غير تكذيب ولا تعطيل باسم التأويل إذ لو أراد الله سبحانه وتعالى تأويله لما أنزله بتلك الألفاظ الموهمة للتشبيه

والجهة والتجسيم والموقف في الضلال والكفر والبدعة على زعم المتأخرين  
والله تعالى أنزل القرمان هدى للناس وشفاء لما في الصدور من الريبة والشكوك  
والوسواس والأوهام لاضلالاً وحيرة وشكا وريبة محتاجا الى إصلاح زيد  
وبيان عمرو وتعقب بكر وشرح خالد فقبح الله العقول التي تتقدم بين يدي  
الله ورسوله وترى أنها أولى بالهداية والبيان ونصيحة العباد من الله ورسوله.

ومنها فاما مسائل الحويض التي أفادها الشبلي لابي عمران فلم أر من تعرض  
لها فقد راجعت الديباج لابن فرحون والطبقات للشعراى فلم أر ذكراً  
لها فيهما على أن اجتماع أبي عمران بالشبلي فيه ما فيه وذلك أن أبا عمران  
ولد بعد ما توفي الشبلي بنحو ثلاثين سنة فكيف يجتمع وهو لم يوجد بعد  
اللهم إلا أن يكون أبو عمران المذكور في القضية غير أبي عمران القاسي  
وكيفما كان الحال فلا غرابة في إفادة الشبلي أبا عمران بتلك المسائل ولو كان  
أبو عمران من كان في العلوم الرسمية لأن اهل الكشف والعيان يعلمون  
من الأشياء ما لا يعلمه منها أهل الرسوم والأفكار ليعتبر أهل الكشف  
للأشياء بعين الحقيقة التي هي عليها في نفس الأمر حتى أنهم يدركون بنور  
كشفهم حقائق المحدودات على ما هي عليه بخلاف أهل الرسوم والأفكار  
فإنهم لا يدركون الا رسومها وخواصها وحدودهم كلها رسوم في الحقيقة  
وعند التأمل حسبما أفصح بذلك رئيس أهل الأفكار المعلم الثالث ابن سينا  
بعد ما أفنى عمره في تطلب حقائق الأشياء وادراك ما هي عليه في نفسها  
وارتكب لادراك ذلك كل طريق يمكن للبشر ارتكابه فلم يحصل من ذلك  
على بطائل بل في آخر عمره اعترف بأن العقل والفكر لها حد لا يتعدياه إلا  
بقوة مفاضة عاينها من الخارج، وتطلبه لادراك الحق في الأشياء بنفسه هو  
الذي تركه متذبذباً في دينه فانه كان يريد أن يعرف الحق ويصل الى ما ينبغي  
من معرفته بعقله وفكره من غير طريق الأنبياء وسيدهم وامامهم مولانا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظننا منه أن العقل يفي بذلك وخصوصاً اذا

كاملا في إدراكه كحقله فخاب ظنه وخرج من الدنيا كما دخل اليها من غير  
 فائدة تنفعه في معاده كما وقع ذلك أخيره من الفلاسفة المتقدمين عليه والمتأخرين  
 عنه وهذه القوة التي أشار اليها هي القوة المفاضة على الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام وعلى اتباعهم الأولياء لكن من غير مساواة بينهم فيها إذ الأولياء  
 لا يشاركون الانبياء في شيء من أحوالهم أصلا ولا لاجل هذه القوة المفاضة  
 عليهم كانت علومهم كلها ضرورية لا نظرفيها ولا تفكر أصلا بخلاف غيرهم فإن  
 علومهم كلها نظرية مجلوبة بمقدمات وأفكار لا تخلو في الغالب عن أغلاط  
 وأوهام لقصور الافكار عن الاحاطة بذاتيات الاشياء ولذلك يقع بين أهلها  
 التنازع والتخاصم فترى هذا يقول الحق معه وهذا يقول الحق معه والمسألة  
 واحدة بخلاف علوم الأولياء فانها الاشياء فيها من ذلك لاستيلاء أرواحهم المقدسة  
 على الانوار التي كان منها بروز الاشياء فتعطيهم الاشياء بسبب ذلك علما  
 من نفسها بما هي عليه في الواقع فأنى يتطرق لهم الغلط والحالة هذه ولهذا قال  
 الاصوليون لا يقع التخالف بين قاطعين أبداً ولما ذكرناه من استيلاء أرواحهم  
 على الانوار التي كان منها بروز الاشياء كانت الاشياء في نظرهم كالشيء  
 الواحد لاتحاد منشأها فعندهم الماضي والحال والمستقبل نقطة واحدة  
 ما يعرف من أولها يعرف من آخرها ولا يغيب عنهم من أمرها شيء حتى أن الواحد  
 منهم لو أراد أن يخبر بما هو آت على ما هو عليه وقت ظهوره لفعل ويخرج  
 كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان مع أنه لم يوجد بعد وما ذلك إلا أنه ينظر  
 بعين الروح المحيطة بالزمان وما فيه بدأ ونهاية ولولا تحجير الشارع عليهم  
 لا يمكن أن يخبر الواحد منهم بما كان وبما يكون ويتمين أهل الجنة وأهل  
 النار وأهل السعادة وأهل النقاء وغير ذلك من شئون الأكوان ولو لم  
 تتعلق مصلحة العالم بذلك فأمروا بكم ما يعلمون من شئونه إلا من أذن  
 له في افشاء شيء من ذلك وإن وقع وافشى أحدهم شيئاً مما علموا عوقب  
 بعقاب لو عوقب به جبل لذاب وتفتت اذا علمت هذا تبين لك يقيناً أنه يمكن  
 للشبلي ومن كان على شاكلته أن يفيد أبا عمران وغيره بالف مسألة من الحيض

مثلا من غير أن تخطر على باله ولا مفهوم للحيض بل سائر أبواب الشريعة وفروعها له أن يفيد فيها بما لا يخطر له على بال ولا يهجم له بخاطر لعدم المناسبة بين فكره وبينها وكفى وعلوم هؤلاء علوم الهام وتحديث وإلقاء في الروع من غير فكر ودراسة ونظر مع إحاطة النور النبوي بعوالمهم الثلاثة المحفوظة من التلبيس بسبب ذلك النور وعلوم الفقهاء وغيرهم علوم فكر وظن وشتان ما بينهما فان علوم الطائفة الأولى لا تردد فيها ولا وهم ولا غلط لأخذها من طريق محفوظ من ذلك وعلوم الطائفة الثانية كلها ظنون وغالبها أغلاط فالطائفة الأولى علومها كالشمس في رابعة النهار ظنها لقوة نورها وكمال اشراقها لا يبقى معها خفاء في المدركات بوجه من الوجوه ولا يمكن لظلام أن يتسلط عليها وقت سلطانها أبداً والطائفة الثانية علومها كالضوء في الظلام فانه وان كان في الاشراق ما كان لا يقع به الظهور الذي يقع بالشمس مع امكان تسلط العوارض التي تزيله عليه كالريح وغيره فافهم وتأمل ولولا ضيق الكتاب لاتينا من هذا بما ترتاح له الافكار وتنشرح به الأسرار ولكن الخير أمام وبالله التوفيق .

وأما أول من أسس الطريقة وهل كان تأسيسها بوحي الخ . فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الاحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما بينها واحدا واحدا ديننا فقال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم فغاية ما تدعو اليه الطريقة وتشير اليه هو مقام الاحسان بعد تصحيح الاسلام والايمان ليحرز الداخل فيها والمدعو اليها مقامات الدين الثلاثة الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة والضامنة أيضا لمحرزها كمال الدين فانه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بمقام الاحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك

طريق التصوف وجوباً عينياً واستدلوا على ذلك بما هو ظاهر عقلاً ونقلنا  
ولسنا الآن بصدد بيان ذلك ، وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف  
والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والانابة  
والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضى والتسليم والزهد والصبر والايثار  
والصدق والمجاهدة ومخالفة النفس وتكلم على النفس اللوامة والامارة  
والمطمئنة وعلى الأولياء والصالحين والصدّيقين والمؤيدين وغير هذا مما  
تكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضى الله عنهم .

وأما قولك هل لما أسست الطريقة الخ فجوابه يعلم مما قبله فانها إذا كانت  
من الدين بل هي أشرف أركانه وكانت بوحي كما قلناه وكانت الصحابة بالحالة  
التي بلغتنا عنهم تواترا من المسارعة إلى امتثال أمر الله كانوا بالضرورة أول  
داخل فيها وعامل بمقتضاها وذائق لاسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية  
ما يكون من الزهد في الدنيا والمجاهدة لانفسهم ومحبة الله تعالى ورسوله  
والدار الآخرة والصبر والايثار والرضى والتسليم وغير ذلك من الأخلاق  
التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قريهما وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة  
وكما كانوا رضى الله عنهم على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها  
وإن كانوا دونهم فيها وكذلك كان أتباع الأتباع وهلم جرا إلى أن ظهرت  
البدع وتأخرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها  
فتأخرت بذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع في الدين ، وكادت الحقائق  
تنقلب وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة ولم يزل ذلك  
يزيد سنة بعد أخرى إلى أن وصل إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على  
الدين فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف فقامت طائفة منهم  
بمحافظة مقام الاسلام وضبط فروع وقواعده ، وقامت أخرى بمحافظة مقام  
الايمان وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح ، وقامت  
أخرى بمحافظة مقام الاحسان وضبط أعماله وأحواله فكان من الطائفة الأولى

الأئمة الأربعة وأتباعهم رضى الله عنهم وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه فعمل هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها بوحي إلهي وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بذلك عند ما ظهر التأخر عنها وبهذا السبب نفسه نسبت العقائد إلى الأشعري والفقهاء إلى الأئمة الأربعة وغيرهم مع أن الجميع بوحي من الله تعالى .

وأما اذعان ابن عبد السلام للشاذلي فلما ذكرناه سابقا من اتساع علوم الأولياء رضى الله عنهم إلى حد لا يخطر على بال الفقيه ولا يطمع في شم رائحته وكيف يشم رائحته أو يخطر على باله وهو من وراء ألف ألف حجاب وذلك أن الأولياء رضى الله عنهم يصلون إلى مقام يأخذون فيه العلم عن الله ورسوله بلا واسطة ولا يصلون إلى ذلك المقام حتى يقع لهم المرور على مقامات عليية ومراتب سامية كل مقام منها لوجه الفقيه ولو ساعة لرمى ما بيده من العلوم الرسمية إلا القراءان والسنة ورآها جهلا وبطالة بالنسبة لما رأى ولو كان أعلم عالم على وجه الأرض بل لو جمع إلى علمه علم جميع العلماء وإلى حكمته حكمة جميع الحكماء لرآى ذلك بالنسبة إلى ذلك المقام كلا شيء وهذا بالنسبة لمقامات مطلق الأولياء أما أقطابهم وكبرآؤهم كالشاذلي رضى الله عنه فإن عندهم ما يقف العقل عن التصديق به لولا تواتر وجود ذلك عندهم وإذا كانوا بهذه المثابة فكيف لا يخضع ابن عبد السلام وغيره للواحد منهم وعندهم من سر الله والمعرفة به ما لو ألقى على جبل لدك وصارهباء بل يصلون من هذه المقامات إلى مقام يستخرج أحدهم جميع العلوم الموجودة على وجه الأرض من أى حرف شاء من حروف القراءان حتى أنه لو انقطعت العلوم من الدنيا لوجدت عند الواحد منهم كما ينبغي وفوق ذلك لا فرق فيه بين العلوم النورانية والظلمانية والدينية والدنيوية من غير مراجعة كتاب ولا مدارسته مع أنوار واسرار تطوف على قلوبهم لو ظهر شيء منها

لحيوان لهام ولتقعد لتقام ولاعنى لا بصر فى الظلام وتأمل قوله تعالى لو  
 أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يظهر لك ما قلناه فلما عندهم من هذا  
 وأمثاله مما لا يعرفه إلا هم رضى الله عنهم خضع ابن عبد السلام للشاذلى  
 وغيره لغيره .

وأما ما عند ابن الحاج من أقسام الشيوخ الخمسة فان الأربعة بعد الأول  
 كل واحد منهم يفيد فى التسليك والوصول إلى الله تعالى وان كان بعضهم أعلى من  
 بعض فى ذلك أما الأول فأنما يفيد فى التعليم المزوج بنور تنبسط بسببه أشعة العلم  
 على باطن التلميذ فتنشط جوارحه للعمل بذلك العلم الذى يتعلمه وبذلك  
 يفارق غيره من العلماء المعلمين اما تسليكه للمريد وأخذه بيده ورفع الحجاب  
 عنه حتى يقول للمريد ها أنت وربك فلا سبيل له اليها لان هذه الحالة لا تكون  
 إلا لمن سلك الطريقة على أيدي الأشياخ العارفين بالله تعالى أما من لم يسلك  
 فلا مطمع له فى التسليك والتربية ولو علم ما علم وعمل من الاعمال ما عمل  
 سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ثم أكمل الشيوخ المذكورين عند ابن الحاج  
 وهم المرئى والمرقى والحرفى والكامل هو المرئى إذا كان التلميذ قابلا للتربية  
 لجمعه فى السلوك على يده بين الجذب والسلوك والفناء والبقاء وذلك غاية  
 ما يطلب من كمال السالك أما إذا كان المرید غير قابل للتربية لغلظ حجابيه  
 وكثافة حسه ورضاه عن نفسه كما هو الواقع فى هذه الاوقات فلا يبعد أن  
 يقال أن الاكمل هو المرقى لأخذه بيد المرید من غير تعب ولا مشقة ولكن  
 فلما تسلم طاقبة المرئى بالترقية وأولى وأحرى بالحرفية والكامل مندرج فى  
 المرئى فلا يقال كيف وقع تركه وبالجملة هذا مقام يحتاج إلى بسط وطول  
 كلام والمقصود الاقتصار على ما يتعلق بجواب ما سألت عنه على  
 سبيل الاختصار .

ومنها فاما الأوراد والوظائف من الزرورية وحزب البحر وحزب النووى  
 فاذكرها وواظب عليها باذن تام منا وإن وقع وحصل لك منها ملل فى بعض

الأوقات فتركها حتى يعود اليك نشاطك لتذكرها باستحضار تام وتوجه عام لتجد بركتها وعمرة ذكرها فان الذكر من حيث هو لا ينتفع به صاحبه إلا إذا أقبل عليه بكايته وتوجه اليه بخالص قلبه وما يعتريك من الكسل عن العبادة في بعض الأوقات سببه برودة حرارة الروح وانقباضها عن الانتشار في أعضاء التعبد وموجب ذلك اما خوض فيما لا يعنى واما تناول ما فيه حرام أو شبهة واما تطلع إلى الدنيا وشهواتها وحب البقاء فيها فتدخل بسبب هذا ظلمة وبرودة على القلب فتتقبض حرارة الروح من أجلهما فيحصل الكسل والملل من العبادة وتميل الذات بطبعها الى البطالة ودواء ذلك أو لا أن تلتجئ الى الله تعالى في الأسحار وتطلب منه أن ينقذك من وحشة الغفلة والاعراض والادبار مع ملازمة الاستغفار، وثانياً أن تستحضر وقت ما يقع لك ذلك ما أنعم الله به عليك من النعم الجليلة التي لا سبب لك في تحصيلها كالايمان بالله تعالى الذي أتحفك به وحفظك لكتابه العزيز ومعرفتك بأحكام شريعة دينه مع ما أعطاك من السمع والبصر والعافية وغير ذلك من النعم التي لا تحصى وتشكره عليها في باطنك وترجوه أن يتحفك بجميع ما تحبه كما أتحفك بما ذكرناه وتدوم على هذا الاستحضار وعلى هذا الرجاء حتى يمتلئ قلبك من الفرح به سبحانه فاذا امتلأ من الفرح به امتلأ بأثر ذلك بمحبته فاذا أحست الروح بمحبة الله في باطنك حييت باذن الله تعالى وانتشرت حرارتها في الذات كلها فترتجل بسبب ذلك تلك البرودة وتنشق الذات بطبعها عبادة الله تعالى فلا تشبع ولا تمل منها حتى أنه ربما تمر عليها الأوقات الكثيرة ولا يقع لها شعور بمقتضياتها من طلب الأكل والشرب والنوم والكلام وغير ذلك من أوصاف البشرية القاطعة للعبد عن وصول الأمداد إلا لاهية لقلبه ولا تزال الذات تترقى في هذا الحال من عبادة إلى عبادة ومن مفضول إلى فاضل ومن فاضل إلى أفضل حتى يستولى عليها النور ويحيط بها ظاهراً وباطناً فتتخلص العبودية بعد ذلك ولا يبقى للذات ميل إلى شيء من الأكوان الظلمانية

والزورانية فاذا تمكنت في هذا المقام رفع الله عنها الحجاب في الحال وأشبهها من جلاله وجماله ما تقربه عينها وثبتت به سمادتها إلى أبد الأبد ثم يفاض عليها من مقامات الولاية والمعرفة به سبحانه ما يناسب قدرها وصدقها إلى آخر ما يقع للسائرين إلى الله جعلنا الله وإياك منهم بفضله وكرمه آمين قدم على هذا ثم إياك والالتفات إلى غير الله على أي حالة كنت .

وأما الشرط فإياك ثم إياك أن تتأخر عنه فانه من أرفع العبادات وأشرف الحالات ويكفيك فيه أنك تظل يومك وليك تعلم كتاب الله لأولاد المسلمين وتدعوهم بسببه إلى توحيد الله تعالى وعبادة رب العالمين مع ما ينضم إلى ذلك من ملازمة بيت الله الذي قال الله تعالى فيمن يلازمه إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية وإقام الصلوات الخمس في أوقاتها والأذان لها خمس مرات في اليوم إلى غير هذا من العبادات التي لو ظفر الإنسان بواحدة منها لكفته يوم القيامة فكيف بها إذا اجتمعت .

وأما ما يقع للفقهاء الذين يقرئون الضبيان من عدم الالتفات إلى العبادة والتخلق بالأخلاق النبوية المحمدية فيس الشرط هو الذي أوجب لهم ذلك وإنما أوجبه لهم عدم تطلعهم إلى العبادة وعدم تشوقهم إلى معرفة الله ومعرفة أخلاق حبيبه صلى الله عليه وسلم إذ المعرفة بالله وبرسوله لا يناها إلا من تشوق إليها وتطلبها وارتكب أسبابها التي أشرنا إليها سابقا والتي ألف فيها القوم العارفون بالله كتبهم ورسائلهم ، وأما من يعبد الله تعالى ويتلو القرآن ولا همه له في معرفة الله ولا عنده ميل إليها كغالب أحوال المدررين فهو لا يناها ولو بقى على عبادته الدهر كله فاعرف هذا واعمل عليه والسلام .

ومنها وحديث البخاري لا إشكال فيه إذ لا يأتي الأشكال إلا لو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآية الشريفة على سبيل التلاوة وهو إنما أتى بها على سبيل الاستشهاد لما ذكره من حكم تلك المسألة والقرآن إذا استشهد به المستشهد لحكم من الأحكام أو أتى به تمثيلا لوعظ أو تذكرة لا يلزم أن

يؤتى ٤٠ على وجهه من غير زيادة ولا نقصان لاتفاق الساف والخلف على جواز ذلك بالحذف والزيادة عند استعماله ويسمونه ضرب مثل وتمثيلا وربما سموه اقتباسا بحسب اختلاف المورده وقد كثر ذلك في كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واتباعهم وهلم جرا، ولم ينكر احد منهم نقص حرف او زيادته اذا لم يقصد التلاوة وجيء بالآية لما ذكرناه فما ورد من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مع نقص حرف من التلاوة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث للترمذي اذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته وخلقه فزوجهوا الاتفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير يحذف لهاء من تفعلوا مع أن التلاوة باثباتها ومما جاء عنه مع ابدال حرف من كلمة قوله صلى الله عليه وسلم من تكلم والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا مع أن التلاوة كمثل الى غير هذا مما يطول جلبه من الاحاديث أما ما ورد عن الصحابة من هذا فشيء يفوق الحصر وكذا ما ورد عن التابعين واتباعهم الى وقتنا هذا . وقد بسط هذه المسألة الحافظ السيوطي في كشف الالتباس عن جواز ضرب المثل من القرآن والاقتباس أو كما هو اسمها فانه غاب عنى اسمها وأشار الى شيء منها في آخر عقود الجمان نظما وشرحا وسبقه الى ذلك مع ايراد نصوص الائمة العارف ابن باخلا في شرح حزب البحر فانظر ذلك فيه اذا عرفت هذا ظهر لك انه لا اشكال في الحديث وانه يقرأ كما قلته من غير تبديل ولا زيادة واو لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد التلاوة وانما قصد تقرير ذلك الحكم السابق بالآية الشريفة .

ومنها واما رؤيا الشيخ أحمد خادم الحجرة وأمره بابلاغ تلك الوصية فلا يخفك أن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيها وما يأمر به كذلك فان أمر بما هو متعلق بالدنيا من غير دخل في الدين فلا شك في قبول ذلك وتعين العمل به على الرأى ولا بد أن يجد ما أمره به صلى الله عليه وسلم وان أمر بما هو متعلق بالدين فان أمر بواجب او مندوب او ما يندرج تحتها

تعين قبوله والعمل به ودل امره بذلك على مصلحة تامة تعلقت بذلك الأمر به في الحال للرأي ولمن صدقه وأراد أن يعمل بعمله لأن امره صلى الله عليه وسلم يمثل هذا لا يهدر وإن أمر بما هو محظور في شرعه الشريف وجب تأويله وصرف الرؤيا عن ظاهرها لانه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بغير الحق وبما يخالف الشرع الشريف أصلاً هذا حكم ما يأمر به صلى الله عليه وسلم في الرؤيا لكل أحد كائناً من كان أما رؤيا الشيخ أحمد بالخصوص فأتت تعلم أنه لا يقبل رواية أحد في الدين إلا إذا عرفت عينه وتحققت عدالته ، أما إذا جهلت عينه وعدالته كحال الشيخ أحمد هذا فإنه مجهول العين والعدالة فروايته مردودة أجماعاً كما في كتب الأصول ووصيته ما وافق منها الشرع الشريف قبلناه لا لرؤياه بل لموافقته لما هو معروف من الشرع وما خالفه منها رددناه عليه وعلى غيره لأن الدين قد تم وكل فلا يحتاج إلى رؤيا أحد ولا وصيته هذا ما يتعلق بتلك الرؤيا في الحال على سبيل الاجمال والاختصار وإن اردت بسط العبارة عليها وتبعتها كلمة كلمة فعرّفنا يصلك ذلك حالاً إن شاء الله تعالى .

ومنها : أما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاختلّفوا فيها اختلافاً طويلاً فقال ابن اسحاق في جماعة من أهل العلم أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كانت بغير إمام ولا دعاء من الدعوات المعروفة في صلاة الجنائز وإنما كان الصحابة رضی الله عنهم يدخلون أفواجا أفواجا فيقفون ويدعون ويصدقونه في رسالته ثم يخرجون وتدخل طائفة أخرى ثم تفعل كذلك وهكذا واستدل من قال هذا بأمرين أولهما أن الصلاة المشروعة في الجنائز إنما شرعت شفاعاً للميت وهو صلى الله عليه وسلم غني عن شفاعه غيره له ثانيها أن الله تعالى أخبر أنه يصلي عليه وملائكته وطلب من المؤمنين ذلك ، قال السهيلي وهذا الطلب يشمل صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً فالصلاة عليه إذاً إنما كانت بأن يقول كل واحد اللهم صل على سيدنا محمد الخ الصلاة

الابراهيمية ، ثم يدعو لنفسه ويصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في رسالته ثم ينصرف الى حال سبيله . وذهب الجمهور إلى أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كانت كالصلاة المعهودة في الجنائز . قال القاضي عياض والنووي وهو الصحيح الذي لا يلتفت إلى غيره ، لكن اتفقوا على أنها لم تكن بامام لقول سيدنا على كرم الله وجهه كما رواه ابن سعد والبيهقي هو إمامكم حياً وميتاً ، فلا يقدم عليه واحد ، وكذلك اتفقوا على أنهم لم يدعوا حال صلاتهم بدعاء الجنائز ، وإنما كانوا يقولون كما رواه ابن سعد والبيهقي أيضاً « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله ، اللهم إنا نشهدك أن سيدنا محمداً قد بلغ ما أنزل عليه ونصح لأمته وجاهد في سبيلك حتى أعز الله كلمته ، فاجعلنا تتبع ما أنزل إليه وثبتنا بعده ، واجمع بيننا وبينه » ثم يقولون « آمين » يفعل هذا كل واحد منفرداً بعد كل تكبيرة من التكبيرات الأربع ، والحال أنهم صفوف صفوف كما قدمنا ، هذا هو الصحيح في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الخرطال فالذي يظهر من مذهبنا ومذهب الشافعية أنه لا زكاة فيه لأنهم وإن عللوا ما فيه الزكاة بالاقتيات والادخار ، فقد اشترطوا فيه أن يكون اقتياته معروفاً عند الخاصة والعامة ولو في بلد المقتات . أما ما كان مختلفاً فيه هل هو مقتات أم لا فهذا فالذي ينبغي الجزم به عدم الزكاة فيه ، ولهذا اتفق شراح المختصر ومحشوه على تخصيص الزكاة بالأنواع العشرين المعروفة للاتفاق على وجود الاقتيات بها وأخرجوا كرسنة من الأنواع العشرين ، وقالوا إنها إلى العلف أقرب . واختلفوا في النين . والمشهور عدم الزكاة فيه مع أن الاقتيات فيه محقق بلا شك ، حتى قال الشيخ الرهوني في حواشيه على كبير ميارة . إن القول بالزكاة فيه هو الذي ينبغي التعويل عليه ، بل قال لو كان عنده

منه نصاب لركاه ، ومع هذا لم يلتفتوا إلى قوله لأجل ما وقع فيه من الخلاف وهل هو مما يقتات أولاً ، وإذا كان هذا في التين المشاهد اقتياته عند القبائل الجبلية ، فماذا يقال في الخرطال الذي لم يصل اقتياته إلى درجة الشك فضلاً عن الظن فضلاً عن التحقيق والقطع . وبالجملة فالذي تحصل لنا من مراجعة كتب المذهب هو عدم الزكاة في الخرطال فتيقن هذا وكن منه على بال . نعم على مذهب الحنفية الذين لا يشترطون اقتياتاً ولا ادخاراً ، بل ولا نصاباً ففيه الزكاة ولا إشكال . ولولا خشية الطول لذكرنا دليلاً ودليلنا ومع من الحق في ذلك .

ومنها وما يذبح على ضرائح الأولياء حسبما جرت به عادة المسلمين في هذه الأعمار وقبلها لا يخلو حال ذابحه إما أن يعتقد أن الولي المذبح عليه يضر وينفع بذاته ، وهذا حكمه حرمة أكل ذبيحته لكونه كافراً باعتقاده أن الله شريكاً يضر وينفع ، وإما أن يعتقد أن الولي لا ينفع ولا يضر بذاته ، ولكن جعل الله فيه قوة بها يضر وينفع ، وحكم هذا كراهة أكل ذبيحته وهو فاسق باعتقاده التأثير بالقوة المودعة في المؤثر . وإما أن يعتقد أن الولي لا يضر ولا ينفع لا بذاته ولا بقوة مودعة فيه ، ولكن جرت عادة الله بقضاء الحوائج عند الذبح والتعلق بالأولياء ، وهذا حكمه جواز أكل ذبيحته من غير كراهة ، فإن جهل حال الذابح ولم يعرف من أي قسم هو حمل على القسم الجائز إن كان الغالب على أهل البلد معرفة التوحيد ومخالطة أهله ، أو كان فيهم الموحدين وغيره فالورع ترك أكل الذبيحة ، هذا هو الذي يؤخذ من شراح المختصر ، وشرح الزياتي على ذكاة خاله ، ونصوص كل قسم من هذه الأقسام موجودة فتأمل هذا ، وانظر ما هو واقع الآن بهذه البلدة من أي قسم من هذه الأقسام هو يظهر لك حكمه والسلام .

ومنها وحديث « لا يبطل حق امرئ مسلم وإن قدم » معناه أن حق المسلم لا يضيع بقدمه . فمن كان له مثلاً حق على شخص بحجة ثابتة

شرعا وسكت عن طابه المدة الطويلة كالثلاثين والأربعين سنة ثم قام يطلبه فانه يستحقه ولا يهدر حقه بسكوته عن طلبه المدة المذكورة وأما رتبته من الصحة والحسن والضعف ومن خرج من المحدثين فاني أعرف أن الخطاب ذكره آخر الشهادات من شرحه على المختصر ناقلا له عن ابن رشد ولم يعزه لأحد ولا تكلم على رتبته وكذلك فعل من نقله عنه كالزرقاني بالمحل المذكور والشيخ الرهوني في حواشيه عليه والشيخ التاودي صدر البيوع من شرحه على التحفة والشيخ التسولي وجميعهم يسلم الاستدلال به على المعنى الذي قررناه أما في كتب الحديث فلم يوجد له أثر ولا ذكر فيما رأيناه منها ومنها وحديث ليس منا من لم يتعاطم بالعلم ذكره ابن الحاج في حواشيه على المكودي حديثا وتبعه على ذلك سيدي المهدي الوزاني في حواشيه على الاستعارة وغيرها من حواشيه وأولا ظاهره المقتضى لطلب التعاطم بالعلم وهما تبعا في ذلك الطرنباطي في حواشيه على الخلاصة وثلاثتهم لم يعزوه لكتاب من الكتب الحديثية على عادتهم في ذكر ما يستدلون به من الأحاديث أما كتب السنة المسندة التي هي عمدة كتب السنة فلا يوجد في شيء منها .

ومنها وقد تعجبت من بيع من باع شرح اللقاني الكبير والأجهوري على المختصر مع ماهو مكتوب عليهما من الوقف في غالب الأوراق وإن كان ذلك لا يضر شرعاً لما نص عليه البرزلي من أن كتابة لفظ الوقف على كتاب من غير اشهاد لا يمنع من بيعه وتملكه ونقله عنه جماعة من المتأخرين وساموه كابن هلال والسجلماسي في عمله المطلق وشرحه والحمد لله على خلاف العلماء فانه رحمة ومثل ما قاله البرزلي للحنفية فان الوقف عندهم لا يثبت حتى يحكم به الحاكم .

ومنها أما الحديث الذي أخبركم به ذلك الخبر فهو بلا شك مختلف موضوع ومخترع مصنوع ليس عليه أثر من طلاوة النبوة ولا هيمنة من حلاوة الرسالة

لفظه في غاية الركاكة ومعناه بلغ الغاية في السماجة وقد عد علماء الحديث من علامة وضعه ركاكة لفظه وبرودة معناه بحيث إذا سمعه السامع لا يخضع له سره ولا يقبله عقله ولهذا قال ابن الجوزي إن الحديث المنكر إذا سمعه الطالب يقشعر منه جلده وينفر منه قلبه وقال الربيع بن خثيم إن للحديث ضوء كضوء النهار ولغيره ظلمة كظلمة الليل نعم معناه صحيح بلا إشكال فقد ورد في هذه العجائب العصرية من الأحاديث ما لا يدخل تحت حصر منها ما هو صحيح وحسن . ومنها ما هو ضعيف إلا أنه منجبر بكثرة شواهده ومتابعته فصار من المقبول المستحسن فما من شيء من هذه المخترعات العصرية الا ويوجد حديث يشير اليها إما بصراحته واما بتضمنه والتزامه فصلى الله على هذا الرسول العظيم الذي أخبره الله بما كان وما يكون وأطلع على ما لم يطلع عليه غيره من السر المكنون .

قلت والحديث المذكور سألت عنه من أرسل اليه الشيخ هذا الجواب فكتب إلي بأنه كان بوجدة فاجتمع بها بعض علماء الجزائر وتذاكر في المخترعات الوقتية فأورد ذلك العالم حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نطق الحديد وقرب البعيد فالامر قريب غير بعيد وهو حديث موضوع كما قال الشيخ رضى الله عنه ومثله حديث افتراه بعض علماء الأزهر وادعى أنه في صحيح البخارى وهو ما نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أنه قال إنكم ستجيئون أو ستفدون إلى المدينة على صفائح من حديد وفولاذ .

أما ما أشار اليه الشيخ من ورود الأحاديث بالإشارة إلى المخترعات العصرية فقد يستغرب القارىء ذلك ويتشوف إلى الوقوف عليها فليعلم أن الأحاديث بذلك على قسمين قسم اجمالى وقسم تفصيلى ووردت الإشارة اليها في القرآن العظيم .

أما الاجمالي فروى الطبراني من حديث سمرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وتزول الأمور العظام التي لم تكدنوا تزونها في هذا الحديث إشارة إلى سكة الحديد التي تزال الجبال من أماكنها في سائر البلاد الجبلية التي تمد فيها شرائطها وأشار بقوله وتزول الأمور العظام التي لم تكونوا تزونها إلى سائر المخترعات الغربية من أو طمبلات ووابورات وطائرات وغواصات وتليفون وتلغراف وراديو وكهرباء وغير ذلك مما حدث أو سيحدث بعد .

ومن أعجب العجب أن كثيراً من الناس بالشرق والمغرب سألتني مراراً هل ورد في الحديث النبوي ما يشير إلى هذه المخترعات العجيبة المدهشة فأجيبهم بما ورد في ذلك وشرعت في كتابة تأليف فيه لم يبيض بعد ثم وجدت في الحديث إخباره صلى الله عليه وسلم بتساؤلهم هذا أيضاً عن هذه العجائب وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار والطبراني في حديث سمرة المذكور سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاماً تقولون هل كنا حدثنا بهذا فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة حتى قال سوف تزول جبالاً تزول قبل حق الصيحة الحديث فصلي الله على هذا الرسول العظيم والنبي الكريم المؤيد بالمعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة .

وأما التفصيل فالطائرات اليوم على نوعين نوع خاص للتجارة والبريد وركوب التجار والسواح ونوع خاص للحرب ورمى القنابل .  
أما طائرات النقل والتجارة فقد روى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جاء وحتى يبعث الغلام الشيخ يريد بين الأفقين وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد رجلاً .

وفي رواية لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة وحتى تتخذ المساجد طرقاً فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ يريد بين الأفقين

وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً رواها الطبراني وأصل الحديث في مسند أحمد فارس بن العلام الشيخ يزيداً بين الأفقين وبلوغ التاجر بين الأفقين إنما هو بالطائرة وهو واقع بكثرة فإن غالب التجار اليوم ينتقلون في حركات الذبابة بالطائرات ومنهم من لا يربح شيئاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأما الطائرات الحربية فهي قواه تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم الآية إشارة إلى الطائرات الحربية والغواصات بل هي ظاهرة في ذلك لا سيما وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيرها أنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد رواه أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص بل مع هذا الحديث يجزم بأن الآية واردة في هذا لا في غيره مما ذكره المفسرون وهي أيضاً شاملة للألغام التي تزرع في الأرض وتنفجر من تحت الأرجل .

وكذلك قول الله تعالى ( والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشرًا فالغارات فرقاً فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً إنما توعدون لواقع ) فإنه وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها تعصف بقنابلها وهي تحتل معنيين في اللغة تترك الناس كعصف مأكول وتميل أحياناً عن هدفها وهذا معنى العصف في اللغة وتنشر المنشورات في ميادين القتال على الجنود وفي المدن على الأهالي والسكان بالدعاية والأخبار عن الحقائق التي تسترها عنهم حكومتهم كما هو الواقع اليوم وتفرق بين الجموع والكتائب فرقاً لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها فرد ولا جمع بل بمجرد رؤيتها يقع الفرار والتخفي تحت الكهوف والملاجئ وتلقى ذكراً في المنشورات عذراً أو نذراً تنذر وتخوف وتهدد وتوعد وربما اعتذرت عن بعض ضربها للاما كن البريئة كما هو واقع ومشاهد وربما أرسلتها بين يدي هجومها وضربها انذاراً وطلباً للخضوع .

وأما السيارات على اختلاف أنواعها فوردت فيها أحاديث كثيرة مصرحة

وملوحه فمن الأحاديث المصرحة ما رواه أبو يعلى بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقترب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق الحزمة فهذا حال السيارات وقدر طيها للمسافات .

وورد في بعض الأحاديث الأخبار بتقارب الأسواق وذلك بسبب السيارات أيضاً وان فهم العلماء أن ذلك بكثرتها وقرب بعضها من بعض والواقع خلاف ذلك لأنهم لم يكن في زمانهم سيارات حتى يحملوا الأحاديث عليها كما هو الواجب لأن الأسواق لم تكثر عما كانت عليه كثرة يقرب بعضها من بعض بل لم تكثر أصلاً ولا تزال كما كانت وإنما قربت بسبب السيارات

ففى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها والقلاص الجمال وإنما يترك السعى عليها استغناء عنها بالسيارات وقد ظهر أثر ذلك في الحجاز فإنه مع عدم تعبيد الطريق لسير السيارات وكون السفر فيها لا يزال متعباً ومعرضاً للخطر بانكسارها في الرمال والأحجار لم يبق أحد يركب القلاص إلا القليل ممن لا يستطيع دفع ثمن السفر فيها فإذا ما عبدت الطرق وسهل السفر فيها ورخص ثمنه فإن السعى على القلاص يترك تماماً في الحجاز كما ترك في غيره طمناً لما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

ويشير الى هذا أيضاً قول الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فإن مثل الفلك المشحون الذي يركب هو السيارات وبابور السكة الحديد لا الجمال كما يقوله المنسرون الممدورون لعدم وجود ذلك في ازمانهم .

ومن الأحاديث المشيرة إلى ذلك حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفي لفظ الحاجة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وحتى يخرج الرجل بماله إلى طرف الأرض فيرجع فيقول لم أربح شيئاً رواه أحمد والحاكم واللفظ له . وعند أحمد وأبي نعيم في التاريخ من حديث عمرو بن تغلب نحوه فما فشت التجارة حتى دخل فيها النساء بكثرة وصرن يعن أزواجهن فيها إلا بظهور الوابور والسيارات كما هو مشاهد الآن في تنقل النسوة بالبضائع من ما كولات وملبوسات من مدن إلى أخرى لسهولة ذلك عليهن مع ركوب السيارات والوابور الحديدي ولم تكن ترى ذلك منهن أيام كان التنقل على البهايم ولا كان يخطر ببال امرأة أن تسافر في تجارة مسافة نصف يوم فضلاً عن يومين وثلاثة وهكذا صار يخرج الرجل إلى أطراف الأرض فلا يربح شيئاً لكثرة انتشار البضائع ووجودها في كل الأماكن بواسطة السيارات بخلاف ما قبل ذلك .

وقال الديلمي في مسند الفردوس أخبرنا أبي أخبرنا أبو الحسين بن النقوم أخبرنا الكنانى حدثنا يعقوب بن ابراهيم البزار حدثنا علي بن مسلم ثنا ابن ابي فديك عن عبد الله بن أبي يحيى عن سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة ، فهذا لم يقع الا في زمن وصول واور السكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة فانه كان كثير من أهلها ينزلون إلى الشام ابتغاء الفسحة والصحة وهكذا يعود ذلك ان عاد وصولها أما بدونها فلا يتصور الخروج من المدينة إلى الشام ابتغاء الصحة مع وجود التعب العظيم ومقاساة أنواع العذاب من حر وبرد وعطش وجوع وألم بسبب ركوب ظهور الجبال ما يقرب من شهر ذهاباً ومثله إياباً لأجل ابتغاء الصحة بل ما كان يتوجه إليه في الحاجة اللازمة إلا أصحاب الضرورة الأقوياء في ابدانهم الذين هم غير محتاجين إلى صحة كالنجار الضارين في الأرض من البدو الذين اعتادوا ذلك .

وأما الراديو والتليفون فيشير اليهما قول الله تعالى ويقذفون بالغيب من من مكان بعيد بل هي ظاهرة فيهما ويشير إلى إذاعة المقالات العلمية في الراديو الخبر الآتي في المطابع .

فقد قال الدارمي في سننه أخبرنا مخلد بن مالك عن حجاج بن محمد عن ليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية يرفع الحديث ان الله قال أثبت العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير فاذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقي عليهم .

ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي الزاهرية من رواية ابن وهب عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية به إلا أنه قال بلغني في بعض الكتب فذكر مثله وانتشار العلم قد حصل بسبب ظهور المطابع التي كثرت الكتب بطبعها وصارت تدخل في يد الناس كافة إلا أن الحديث يفيد أن الراديو سيزيد انتشاراً في العالم حتى يمتلكه كل غني وفقير ويوجد في أغلب البيوت وانها ستكون المحاضرات العلمية فيه حتى يعلم ذلك من طريقه النساء في البيوت والخدم والعميد وغيرهم فيقع ما أخبر الله تعالى به نسأل الله اللطف والسلامة والمغفرة بمنه .

«فائدة» ستخترع في المستقبل أمور أخرى لم تظهر بعد منها أحذية ونعال فيها آلات فوتوغرافية أو نحوها يرتسم فيها كل ما يقابلها أو فوتوغرافية ينحسب فيها كل صوت قريب منها وكذلك سيأخذ بهذه المثابة تستعمل في الجاسوسية وتوضع أمام من لم يشعر بها ينطق ويتكلم أو يفعل ما يريد وكل ذلك يرتسم وينحسب في ذلك الحذاء أو السوط فيكون مخبراً به وشاهداً عليه ويتركه الرجل في بيته بين أهله فاذا رجع أخبره بجميع ما فعلوه هكذا وردت به السنة وهو وإن لم يظهر بعد فقد ظهرت بعض انواعه .

## فصل

ومن رسائله الى الفقراء رسالة الى أهل طنجة أرسلها اليهم في سفرة  
سافرها ونصها : اخواننا في الله وأحبائونا فيه السادات الاجلة البدور الالهة  
الذاكرون الله بالزاوية الدرقاوية من الحضرة الطنجاوية صغيراً وكبيراً السلام  
عليكم ورحمة الله ما قامت الأشياء بالله أما بعد فوجه السؤال عنكم وعن كافة  
احوالكم أجراها المولى على وفق آمالكم وإن تفضلتم بالسؤال عن عبدكم  
ومحبكم فإنه لا بأس عليه الا ما يجده من ألم فراقكم والبعد عنكم نطلب الله  
أن يجمعنا معكم قريباً غير بعيد هذا واعلموا رحمكم الله أن الانسان إذا كان  
ممتثلاً لأمر الله محتجباً لثبته بظاهره وباطنه متحققاً مع ذلك في الظاهر بالعبودية  
التي هي لذل والفقير والضعف والمسكنة وعدم الانتصار للنفس ومتحققاً  
في الباطن بالمحبة التي هي الحلم والكرم والصدق والمحبة والثقة بالله وحسن  
الظن به والرضى والايثار والزهد والاكتفاء بالله وغير ذلك من أخلاق مولانا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الانسان لا محالة عارفاً بالله مستغرقاً في  
شهود عظمة الله لا يعرف غير الله ولا يميل لسواد رفض في الله كل شيء  
وخلصه الله من كل شيء فهو أبدأ بهم في الله ويتلذذ بمشاهدة قدسه وسناه  
ليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار لا يفرح بشيء سوى الله ولا يحزن  
على شيء أزال الحق سبحانه عنه الحجب والاستار وأكبره بالمعارف  
والأسرار فانيا عن وجوده باقياً بشهوده ذاته مع الخلق وقلبه مع الحق يأخذ  
من كل شيء ولا يأخذ منه شيء يتقرب الى الله بكل شيء ولا يحجبه عن  
الله شيء حركته وسكناته كلها لله وبالله ، ليس للشيطان عليه من سبيل لأنه  
عبد الله ، ومن كان عبد الله تولاه الله ، ومن تولاه كفاه إن عبادي ليس لك  
عليهم سلطان . ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما حجب  
القلوب عن علام الغيوب إلا عدم العبودية ، فلو وجدت لوجد الخير كله ،

وحيث فقدت فقد الخير كله ، فما اتصف أحد بما ذكرنا إلا وكان من الأولياء الكاملين لأنه تخلق بسنة سيد المرسلين ، ولا اتصف بأضدادها إلا وكان من الشياطين ، ولو كان عند الناس من الصالحين وأتم يا إخواننا لكم إن شاء الله المعرفة الكبيرة والولاية العظيمة بحسب مالكم من الصدق في العبودية التي هي سبب للعلوم الإلهية ، فأتم في الزيادة بفضل الله شعرتم بذلك أم لا . وستعرفون ذلك ، ولا بد لكل واحد منكم أن يكون منه ما يكون إن ثبت في باب الله وفي صحبتنا ، إذ بالثبات مع بعضنا يكون لنا ولكم ما كان لمن قبلنا من أولياء الله تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين . المرء على دين خليله فائتوا ولا بد ولا بد في إخلاص العبودية لله ، ولا تلتفتوا لشيء من الأشياء ، ففي الله كفاية ، وارتكبوا شرائع الطريق لنلوح عايكم أنوار المعارف والتحقيق ، وتأدبوا بأدب الأولياء لتكونوا من المخصوصين الاصفياء ، فبالآداب تفتح الابواب ، وبارتكاب الشروط يذاق الشروط وامتصوا ما أقوله لكم وافهموه واعملوا به فانكم في الحين تعرفون ربكم وتصلون إلى مناكم ، وهو أئى أحبكم ان يكون لكم القصد الصحيح والصدق الصريح والآداب المرضية والاحوال الزكية وحفظ الحرمة وحسن الخدمة ورفع الهمة ونفوذ العزيمة وخلع العذار والذل والانكسار والبذل والايثار وصحبة المعارفين الاخيار وبذل المجهود في الطاعة والاذكار . أما القصد الصحيح فالمراد به ان تكون نيتكم في صحبتنا تحقيق العبودية ومعرفة الحق سبحانه لا طلب كرامات ، ولا إدراك درجات ، إذ ذاك حاصل على كل حال . وأما الصدق فالمراد به ان تصدقوا بسر الخصوصية والولاية وتجزموا بما لاهلها من المعارف الإلهية وتعتقدوا ذلك في شيخكم والصدق بهذه الكيفية هو أساس الوصول ، فكل من صدق وصل وذاق ومن لا فلا ولو بقي مع الشيخ سنين لان الشيوخ لا ينظرون فيمن لا يعتقدهم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وبهذا الصدق يعترف المرید من بحر المعارف ولو

كان ضعيفاً عن المجاهدة ، ولولا ضيق القرطاس لذكرنا لكم من فضل هذا المقام ما تحير فيه الألباب . وأما الآداب المرضية فالمراد بها حفظ الجوارح من المخالفة والبواطن من الاعتراض والتدبير والاختيار والمحافظة على السنن النبوية ومحبة الاخوان وتعظيم الشيوخ .

وأما الأحوال الزكية فالمراد بها خرق عوائد النفس وتخريب ظاهرها أكلاً وشرباً وملبساً والسعى فيما يزيل جاهها ورياستها ، فكل من خالفها وخرق عوائدها بهذه الكيفية خرقت له العوائد وأكرمه الله بالعلوم والفوائد كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد مع كفا الأذى عن الناس وحمل الأذى منهم .

وأما حفظ الحرمة فالمراد بها حرمة الشيخ حاضراً وغائباً حياً وميتاً فلا يجلس الفقير في موضع يهان فيه شيخه ، وكذلك حفظ حرمة الاخوان بأن يحمل أذاهم ويكف أذاه عنهم ويكرمهم لله ويعظمهم لله ، وكذلك حرمة المسلمين فلا يذكروهم بسوء .

وأما حسن الخدمة فالمراد بها خدمة الشيخ والاخوان ومجاهدة النفس لله .

وأما رفع الهمة فالمراد بها أن يكون القصد معرفة الله والتمتع بمشاهدته مع الاعتماد عليه والفرار من كل شيء إليه .

وأما تقوذة العزيمة فالمراد بها أن لا يعمل ولا يكسل ، ولا يلتفت إلى شياطين الحن والانس ، بل يدوم على سيره حتى يصل لربه .

وأما خلع العذار فالمراد به أن يتخلع الأوصاف المذمومة ، كالكبر والحرص على الدنيا ، ويتحلّى بالأوصاف المحمودة ، كالحب والشوق والزهد ، ويتخلع لباس العز والاستكبار ويلبس لباس الذل والانكسار .

وأما الذل والانكسار فالمراد به الخضوع لله سبحانه ولا يظهر ذلك إلا

بالخضوع لعباده .

وأما البذل والايثار فالمراد به الجود بالنفس والمال محبة في ذى العظمة والجلال ، والجود شرط في الطريق أقبح من كل قبيح صوفي شحيح .

وأما صحبة العارفين فالمراد بها سلب الارادة لهم ، وصحبتهم وخدمتهم لله ، وهو القطب في الطريق ، وليست المعرفة بالعزلة إنما المعرفة بالصحبة .

وأما بذل المجهود في الطاعات والأذكار فالمراد به ألا تمر عليه ساعة إلا وهي في طاعة الله ، وهذا هو المقصود من الطريق ، والأهم عند أهل

التحقيق ، فكل ساعة مرت على الفقير لم يذكر الله فيها كانت عليه حسرة وندامة . فأوقات الفقير دائرة بين ذكر ومذاكرة وفكرة ونظرة ومن خلا

وقته من هذا فهو في بطلالة وفترة ليس له من الطريق إلا الاسم ، لا يذوق للولاية طعماً ولا يجد لايمانه حلاوة ولا لعله فهما شرائع الطريق

وشروطها ، فكل من عمل بما ذكرنا نال المعرفة الكبرى ، إذ ما ذكرنا هو لب الشريعة المطهرة فتخلقوا بما ذكرنا لكم ولا بد ، واستمعينوا على

ذلك بالله فانكم عن قريب تصلون إلى مقام تأخذون فيه العلم عن الله وتزول عنكم اوصاف البشرية ، وتحبى لكم اوصاف الروحانية وبجياتها تصلون

للحضرة القدسية ولا تحجبون عنها بشيء من الأشياء ويصير الغيب الشهادة عندكم سواء ، ومن لم يسلك كما ذكرنا غابت بشريته على روحانيته فانطمست

بصيرته وحجبت بالأكوان عن المكون فحسرت صفقته وضاعت حياته ، فاذكروا الله ولا بد واثبتوا في باب الله واجتمعوا على ذكر الله وتواصلوا

وتزاوروا ، واعلموا أن أمركم عند الله عظيم وقدركم جسيم ولا بد ان يجدد الله بكم هذا الدين فاثبتوا ولا بد ولا بد والسلام .

ومنها: إلى إخواننا في الله وأحبائنا فيه كافة فقراء العرائش حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى . أما بعد: فأحبكم أحبكم الله ورسوله ان تقوموا بالوظائف الدينية

القلبية والقلبية ففيها السعادة الآخروية والراحة الابدية . فمن الوظائف النطق بالشهادتين مع اعتقاد معناهما الذي هو ثبوت الوجدانية لله ذاتا وصفة وفعلا وثبوت رسالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تصديقه فيما جاء به عن الله واتباع أوامره ونواهيه . فثبوتها وهو أهمها بعد الشهادتين أداء الصلوات الخمس في أوقاتها المعينة لها مع إيقاعها في الجماعة والاتبان بجميع شروطها من الطهارة الكبرى والصغرى واستقبال القبلة وستر العورة واتقان الوضوء باتقان الاستبراء الذي هو استفراغ ما في الحنين من الأذى مع الاستجمار بالأحجار إن أمكن والغسل بالماء بعده والاتبان بجميع الفرائض والسنن والمستحبات ، ولا بد مع هذا من المحافظة على النوافل ، كالوتر والفجر والضحى والرواتب القبلية والبعدية . ومنها الزكاة فأدوها إن وجبت عليكم ولا بد ولا بد فانها طهارة وبركة وسبب للغنى ، واحفظوا مع هذا جوارحكم التي هي الأذن والعين واللسان والبطن واليد والفرج والرجل من المنهيات ، فلا تسمعوا إلا الوعظ والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا تنظروا إلى ما لا يحل لكم من النساء والصبيان والأمتعة ، واحفظوا ألسنتكم من الكذب والغيبة والنميمة والزور والبهتان وأيديكم من اذاية الناس في أبدانهم وأموالهم وبطونكم من الحرام وفروجكم من مماسة ما لا يحل لكم وأرجلكم من المشى في غير طاعة الله وقلوبكم من العجب والكبر والرياء والحسد والبغض والغل والحقد والغش والخديعة والمداهنة وحب الرياسة والتقدم وحب المدح وخوف الذم والاهتمام بالرزق والخوف من الخلق ، وتفكروا في مصنوعات الله واستحضروا اطلاعه عليكم في جميع الحالات ولا تستعظموا هذا فإنه سهل إن استعنتم عليه بالله . ثم المؤكد به عليكم الاجتماع لذكر الله وقت فراغكم من الأشغال ، وخصوصا فيما بين المغرب والعشاء ، وفيما بين

صلاة الصبح وطلوع الشمس ففي ذكر الله في هذين الوقتين من الفضل والثواب شيء عظيم ، وتزاوروا في الله وتحابوا فيه ، وواسوا محتاجكم ، وصلوا أرحامكم ، وعودوا مرضاكم ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، واحتملوا أذى من آذاكم ، ولا تجالسوا من يقطعكم عن ذكر الله ولا تخالطوه فانه يميت قلوبكم وفي موتها فساد الدين وضعف اليقين ، وفي ذكر الله ذكره ورضاه ومجالسته وطمأنينة القلب وفي الاجتماع عليه رياض الجنة وغشيان الرحمة ونزول السكينة وحفوف الملائكة حسبا وردت به الأخبار وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآثار ، وإياكم والانصات لمن يعذلكم أو يلومكم فانه شيطان مارد ومطرود شارد ، ولا تسيثوا لأحد من عباد الله ولا تخافوه ولا ترجوه فان الأمور كلها بيد الله ، لا يملك أحد لأحد منها ضراً ولا نفعاً ، ولا خفضاً ولا رفعا ، وصونوا قلوبكم من الطمع في الخلق فانه الفقر الحاضر والذل الظاهر ، واعلموا أنكم ان فعلتم هذا ثبتت خصوصيتكم ونلتم مطلوبكم من ربكم ، أعانكم الله وقواكم ومن نزغات الشيطان حفظكم ووقاكم والسلام .

ومنها : الى كافة اخواننا في الله السادات الفقراء العارفين الكبراء أهل الزاوية الأيوبية من الحضرة الفاسية دفع الله عنها كل فتنه وبلية امنكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى .

أما بعد مجديد العهد بمحبتكم والسؤال عن أحوالكم والتماس صالح أدعيتكم فاني أعلمكم أنه ما قامت الطريق ولا حصل طالبوها على التحقيق إلا بدوام الاجتماع مع أهلها والمذاكرة في شروطها والعمل بمطلوباتها ولا بطل أمرها وحزم منها طالبوها إلا بالاعراض عن أهلها وعدم العمل بشروطها فاجتهدوا وفقكم الله تعالى في القيام بشرائع الدين ، والتخاطب بأخلاق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، واجتنبوا ما يهدكم عن الله من ارتكاب المناهي الشرعية ، وارتكبوا دائماً ما يقربكم إلى الله من النوافل على اختلاف

أنواعها بعد أداء الفرائض العينية والزموا تطهارة الثياب والبدن والمكان والوضوء دائماً وصلاة ركعتين بعده فان لها سراً خاصاً في تنوير الباطن ونقى الخواطر الرديئة عنه ، وكذلك الزموا تحية المسجد والزاوية وصلاة الضحى وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ركعات وقيام آخر الليل والدعاء عقب الصلوات ، وفي وقت السحر وخصوصاً إن وجدتم رقة ونشاطاً فيه فان ذلك من علامة الاستجابة ، ولا تخلصوا أنفسكم بالدعاء ، بل عمموا ليكون أنجح وأقرب للإجابة ، وواظبوا على حلقة الذكر صباحاً ومساءً إن أمكنكم ذلك وإلا ففي يوم الجمعة وليلتها وليلة الاثنين فان لها بركة وأثراً عظيماً في التخلي والتخلي ويكفيكم نزول السكينة عليها وغشيان رحمة الله لأهلها وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة الشريفة ، ولا تهولوا من إيذاية الخلق ، ولا تكثرهوا ما نزل بكم من الفاقات والأمراض فان ذلك سيعود على من ينزل به بالخير والفوز والبركة إن صبر ورضى ورجع إلى الله وترك تدبيره واختياره وفر من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، والزموا الصمت إلا عن ذكر الله أو امر بمعروف أو نهى عن منكر أو إصلاح بين الناس أو مذاكرة في علم أو عمل ، واتركوا ما لا يأتي بخير من الأقوال والأفعال ، واجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة والتجسس على عيوب الناس ، وارقبوا الله في سركم وعلافتكم واستحضروا دائماً اطلاعه عليكم ، وتحققوا أن ناصية لكم وناصية الأكوان كلها بيد الله سبحانه ، يصرفها كيف يشاء فيما يشاء لا فعل لأحد معه سبحانه ، ولا تشتغلوا بأمر الوقت وما هو جار فيه فان ذلك يتلف قلوبكم ويصدها عن ذكر الله وعبوديته ، وبعد ذلك لا يكون إلا مراده سبحانه واقنعوا من الدنيا بما تيسر من غير كلفة ولا تعب ولا مزاحمة ، ولا تعاق بمخلوق تعلقاً يؤدي إلى رؤيته ونسيان الله تعالى لأن ذلك نوع من أنواع الشرك ، ولا تتناولوا من المأكل والمشروب والملبوس إلا ما تقوم به البنية ويقع إليه الاحتياج من

غير إصراف ولا مبالغة فان من أخذ فوق ما يكفيه أعمى الله عين بصيرته .  
ومن تناول شهوته عدم صفوته وتزاوروا في الله وتحابوا فيه فان ذلك من  
أعلى شعائر الدين الموجبة لمحبة رب العالمين . وعظموا المسلمين والعلماء وأهل  
البيت النبوي الشريف وأحبوا لهم ما تحبون لأنفسكم واشتغلوا بعيوبكم  
عن عيوبهم واستغنوا بالله عن كل شيء سواه ففيه سبحانه الكفاية ولا  
تنظروا إلى من هو فوقكم في الدنيا وانظروا إليه في الدين من غير حسد  
ولا حقد عليه ووقروا مقدمكم ولا بد وكبراءكم في الطريق وفي السن ،  
واحترمواهم لله وفي الله واسمعوا إليهم واتركوا ما تعرفون لما يعرفون فان  
البركة كما في الحديث الشريف مع الأكابر ، وتحققوا أنكم ان عملتم بما  
ذكرناه أخذ الله بيدكم في الحال ورحاتم إلى الله بظاهركم وباطنكم وأدركتم  
ما أدركه الرجال قبلكم وجربوا في التجريب كشف الحقائق وإظهار  
ما خفي من الطرائق ، وواصلونا ما دمننا في الحياة ، فبذلك يدوم سيركم  
ويكمل أمركم ، والله تعالى يتولانا ويتولاكم ويحفظكم ويرعاكم ،  
والسلام .

ومنها : أما بعد فقد بلغنا أنك وجميع الاخوان لازلتم مشغولين باستنشاق  
طاباق في انوفكم كما بلغنا أنكم تؤذون الأخ الصالح الفقيه وتعرضون  
عنه إذا لقيتموه في الطريق فلا تسلمون عليه ولا تصافحونه فساءنا فعملكم  
لهذين الأمرين القبيحين استنشاق طاباق وإذاية الأخ المذكور واستجبحناه  
غاية الاستباحت . أما طاباق فلا يخفاك انه اتفق على تحريمه علماء الباطن قاطبة  
والصالحاء العاملون من علماء الظاهر لا خلاف بينهم في ذلك حتى قال العارف  
بالله القطب شيخ شيوخنا سيدى محمد بن ناصر ان من يستعمله في انفه او  
يتدخن به في فيه لا حظ له في طريق اهل الله ولا ينال منها شيئاً وكذلك  
قاله شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوى في جماعة كثيرة من الاولياء يطول  
ذكرهم وفي العمائيات الفاسية .

وحرموا طابا للاستعمال وللتجارة على المنوال

ولا تغتروا باستنشاق من يستنشقها من فسقة العلماء المهتوفين المارقين فانه لا دليل معهم فيها ولا نور يبصرينهم يصلون به إلى الاطلاع على قبائحها فالفرار الفرار منها والبدار البدار عاجلا إلى تركها إن أردتم سلامة دينكم وصلاح ظاهركم وباطنكم .

وأما إذايتكم للائخ المذكور فلا يخفكم ما ورد في توقيير مطلق المسلمين واحترامهم فضلا عن كان منهم من أهل الفضل والصلاح والدين وذوى الشيبة والوقار المتين ، ويكفيكم قوله عليه الصلاة والسلام « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » وقوله عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق الامام المقسط والعالم العامل وذو الشيبة في الاسلام » إلى غير هذا من الأحاديث الكثيرة في هذا المقام . وفي القرآن العظيم « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » . ومن أعظم حرمات الله المسلم الصالح ذو الشيبة في الاسلام ، واذا كان هذا في مطاق حق المسام على المسلم فاذا يكون حق الأئخ على أخيه في الله الأخوة الصالحة التي جعلها الله بابا من أبوابه وطريقا موصلا إلى رضوانه مثل أخوتكم مع الأئخ المذكور فانها بمقتضى شريعة الطريق تستوجب عليكم أن تعظموه وتحترموه وتوقروه وتتحملوا ما عسى أن يصدر منه ، وتقابلوا إساءته بالاحسان محبة في الله ورسوله وتخلقا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم وأخلاق كبار أمة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وكان لا ينتصر لنفسه من مظلمة ظالمها كما في الصحيح وكان يصل من قطعه ويعطى من حرمه ويعفو عن ظلمه ويقول بهذا أمرنى ربي وقد تبعه على هذه الاخلاق الكريمة سلف هذه الأمة وكبرائها من العلماء العاملين والأولياء الكاملين عملا بقوله تعالى « قل إن كنتم تحبون الله

فاتبعوني بحبيبكم الله « فنالوا بذلك ما نالوه من سعادة الدارين ، والفوز بعرفة الله ورضاه في الكونين ، وليست الطريق إلى الله بكثرة الصلاة والصيام ، بل بالقيام بالواجبات فقط مع التواضع وحسن الخلق مع الأنام والاعراض عن النفس وما تطلبه من الرياسة وعلو المقام فهذا بلغوا ما بلغوه من الولاية الكبرى والصالح وحسن الختام .

وقد قال شيخ شيوخنا القطب مولاي العربي الدرقاوي رضى الله عنه من تعذر عليه الفتح فليعمد إلى فاس الاحسان وليحفر به في قلوب الاخوان يخرج له ينبوع من العلم يغنيه عن مذاكرة الذاكر ومطالعة الدفاتر فاعرف هذا وعرف به الاخوان . وبادروا بعد ذلك إلى الأخ المذكور واستعطفوه عليكم واستجلبوا رضاه ووقروه وقدموه في الصلاة وغيرها فانه ممن يستحق التعظيم والتقديم ولا تلتفتوا إلى أنفسكم وأهوائكم وكونوا معه بدأ واحدة في الله ولا تسمعوا فيه قول قائل ولا إنكار منكر فان الوقت كما لا يخفاكم لا يسلم أحد من أهله هذا واجتهدوا في طاعة ربكم وعمارة أوقاتكم بذكر الله والتخلق بأخلاق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقنعوا من الدنيا بما تبسر من غير كلفة ولا تعب ووقروا الكبير وارحموا الصغير واعتمدوا على الله في جميع أموركم وقدموا أمره سبحانه وتعالى على شهوات أنفسكم ليقترب عليكم الطريق وتوصلوا في أمم قريب على التحقيق وتلقوا الله كما تحبون وتنالوا في الآخرة ما تطلبون وما ترضون وتمسكنوا فان المسكنة في هذه الدار سبب للنجاة من البوار ومن العذاب ودخول النار وارضوا بما يبرز من القضاء يرضى الله عنكم واحفظوا أمر الله في الرخاء يحفظكم في الشدة واذكروه في اليسر يذكركم في العسر وخافوه يؤمنكم واتقوه سبحانه يكرمكم والله يعينكم ويحفظكم اه .

ومنها رسائل أخرى مذكورة في الأصل .